رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

محمد صالح البنداق
دوكتوراة في الفلسفة

يحيى بن الحكم الغزال

أمير شعراء الأندلس في القرن الثالث الهجري
وسفير أمير الأندلس
لدى
إمبراطور القسطنطينية وملك النورمان

١٥٠ ـ ٢٥٠هـ
٧٧٠ ـ ٨٦٤م

قدم له:
الأستاذ الدكتور احسان عباس
رئيس دائرة اللغة العربية ولغات الشرق الأدنى في الجامعة الاميركية ببيروت
مدير مركز الدراسات العربية ودراسات الشرق الاوسط

منشورات دار الآفاق الجديدة بيروت

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

البسملة من مخطوطات السلطان محمود خان الثاني بن عبد الحميد خان الأول العثماني
١١٩٩ ـ ١٢٥٥ هـ
متحف طوب قبو استانبول

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

يحيى بن الحكم الغزال

١٥٠ ــ ٢٥٠هـ
٧٧٠ ــ ٨٦٤م

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى
١٩٧٩

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

محمد صالح البنداق
دوكتوراة في الفلسفة

يحيى بن الحكم الغزال

أمير شعراء الأندلس في القرن الثالث الهجري
وسفير أمير الأندلس
لدى
إمبراطور القسطنطينية وملك النورمان

١٥٠ ـ ٢٥٠هـ
٧٧٠ ـ ٨٦٤م

قدم له:
الأستاذ الدكتور احسان عباس
رئيس دائرة اللغة العربية ولغات الشرق الأدنى في الجامعة الاميركية ببيروت
مدير مركز الدراسات العربية ودراسات الشرق الاوسط

منشورات دار الآفاق الجديدة بيروت

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

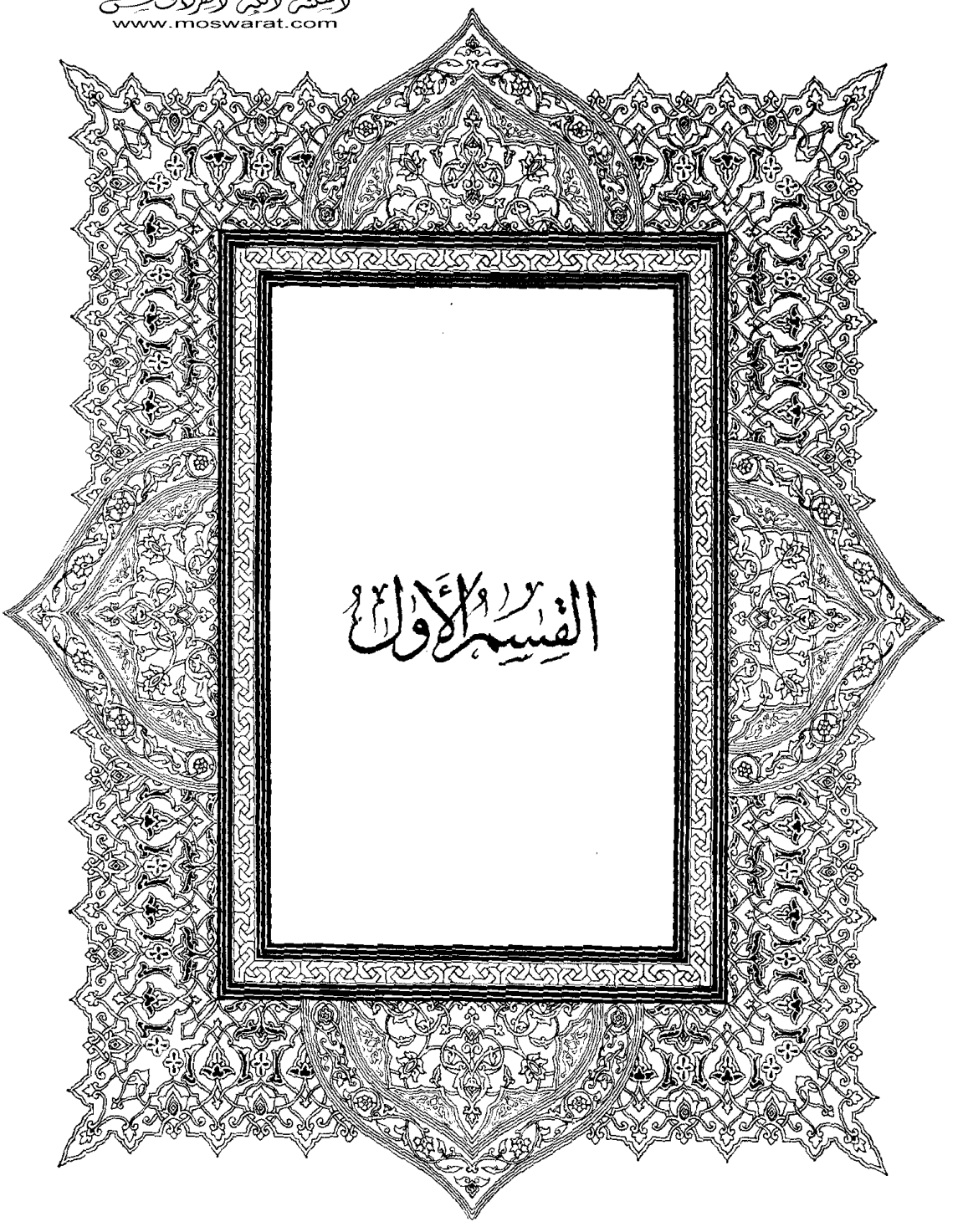

القسم الأول

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

مقدّمة

بقلم الأستاذ الدكتور إحسان عبّاس

لشخصية الغزال (يحيى بن حكم الجياني) سحرها الخاصّ ، لا يملك من يتعرف إليها إلا الإحساس بالإعجاب والمحبة والمعايشة ؛ إنك لتلقى فيه الشاعر الساخر في الموقف العصيب أو الدبلوماسي البارع الخفيف الظلّ ، فتعجب به ، وتلمح في سريرته النقاء والصفاء النفسي فتحبه ، وتطلع على مداعباته ومحاوراته فتحس أنك تعيش على مقربة منه ، ويبقى السحر الخاصّ أبعد من أن تفسرّه علاقات المعايشة والمحبة والإعجاب ، ثمة شيء آخر ، شيء يشبه أن يكون « سرّاً » مغلقاً ، حاول الأندلسيون أن يفكوا طلاسمه فزادوه إنغلاقاً ، حين سمّوا الغزال « عرّاف الأندلس » ، وفي المعجم : « ويقال للحازي » عرّاف وللقناقن عرّاف وللطبيب عرّاف . . . والعرّاف :

الكاهن » . والحازي هو الذي يقرأ الأسرار ويدّعي علم الغيب ، والقناقن : المهندس الذي يعيّن مواضع الماء تحت الأرض ، فأيّ ذلك كان الغزال حين أطلق عليه لقب « عراف الأندلس » ؟ هل كان قارىء أسرار أو طبيباً أو مستنبطاً للمياه ، أو لم يكن شيئاً من ذلك ، وإنما كان لغزاً لا يفسره إلا كلمة متعددة الدلالات ؟

هذه « الاسرارية » تتطلب غيبة ، وقد تصوّر الأندلسيون أن الغزال غاب ـ رحل متنكراً (مع عدم حاجته إلى ذلك) وغاب عنهم طويلاً ، ذهب إلى المشرق منبع الوحي النبوي والإلهام الشعري ، وتجوّل هنالك بعيد وفاة أبي نواس (هل كان يرشح نفسه ليخلفه في البلاط العباسي ؟) إذ لا يكفي أن يكون الغزال سفيراً لدولته ، إلى أقصى الشمال الأوروبي وإلى القسطنطينية ، وربما إلى غيرهما ، بل لا بدّ له من تجواب ، يستكشف فيه الدنيا دون مهمات رسمية ، ويعود وقد اشتاق إليه إخوانه مثلما اشتاق هو إلى وطنه .

لعل هذه النواة الغيبية التي تعزّ على التفسير هي التي تطرح على قارىء سيرة الغزال شعوراً مُستَفَزّاً للبحث ، لجلاء السرّ ، لاستخراج الغوامض ،

بالإضافة إلى ما يحسه نحو صاحب تلك السيرة من محبة وإعجاب ومعايشة ، وقد كانت هذه العوامل جميعاً ـ فيما أعتقد ـ تمثل ـ مجتمعةً ـ المنطلق الذي استثار خيال الأستاذ محمد صالح البنداق ، فقد أحبّ الغزال وأعجب به ، وأحسّ أنه منه على كَثَب ، وحيرّه اللغز ، فأحبّ أن يفرد الغزال بدراسة تجلّو جميعَ الجوانب في شخصيته الغنية . وبهذا العمل الجميل، قدّم الأستاذ البنداق صديقاً جديداً ، أنا على يقين أنه سيكسب كثيراً من إخوان الصفاء ؛ ذلك لأن المؤلف لم يوفر جهداً في البحث والتنقيب ، للإفادة مما كتبه الغزال ومما كتب عنه ، فجاءت هذه الدراسة الممتعة المفيدة تتويجاً لجهد مخلص أمين .

إحسان عبَّاس

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

استهلال

هذا الكتاب المتواضع جاء نتيجة مطالعة كتاب قيّم نفيس عن الأدب الأندلسي للأستاذ الدكتور إحسان عباس .

فقد استلفت نظري واسترعى انتباهي في هذا المؤلف ما حكاه مؤلّفه العلاّمة عن يحيى بن الحكم البكري الجياني الغزال شاعراً وإمارة ، وسفيراً وسفارة .

وقد شاقني متابعة المطالعة والبحث عن يحيى الغزال الوسيم ، البهي الطلعة ، أبي الجمال كما قال ابن الأثير[1] وعن شخصيته ، ومآثره ، وعصره ، فكانت هذه الدراسة الموجزة ثمرة جهود سلخت في

---

(١) المرصّع ، ص ٣٦٩

بذلها ردحاً من الزمن منقباً ، محققاً ، مدققاً ، باحثاً عن أصدق المعلومات عن الغزال وأقصى ما وصلنا من شعره .

لقد عايش الغزال عصور خمسة أمراء ، جال فيها وصال ، فناقش العلماء ، وبذّ الشعراء ، وانتقد الفقهاء ، وداعب النساء ذوات الحسن والبهاء ، وهجا ونفر من الجرداء الصلعاء ، وتحدى القضاة ، وسفر بين الملوك ، وصارع الأمواج ، وشغل المؤرخين ، والمفكرين ، والرواة ، والروائيين ، والمستشرقين ، وعاش عيش القصور ، وجمع المال ، وتصرّف بالاعشار ، وذاق من الدهر حلوَه ومرَّه ، وكان يلبس لكل حال لبوسه ، علماً منه بأن دوام الحال من المحال وأن كل شيء صائر إلى زوال .

كان موضع ثقة أميره عبد الرحمن ، فسفر باسمه للأندلس وللإسلام بين أقوام مجوس ، فأدهش ملكهم ، ونازل أبطالهم فثبتهم ، وارتبط بأجمل وأنبل علاقة صداقة وودّ مع نودْ ، الرؤدة البهنانة ، ملكتهم ، واضعاً بهذه العلاقة قاعدة « العشق السياسي » ، حيث أحب بشخص نود مصلحة الأندلس ، ورفعة سمعة أميره عبد الرحمن ، والعلاقات التجارية والسياسية الممتازة ، وعاد إلى بلاده مكللاً بالغار .

هـذا الـذي أعطـى كل شيء وقتـه ، كان في كل ظروف حياته واقعياً ومنسجماً مع نفسه ، داعياً للخـير والعدل والحق والجمال ، أميناً على رسالتـه ، ورعـاً ، زاهداً ، وكلما ضحكت له الحياة ضحك لهـا ، حتـى إذا عبست بوجهه ضحك عليها !!

في سيرة الغزال دروس وعبر .

محمد صالح البُنداق

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

يحيى بن الحكم الغزال

١٥٠ ـ ٢٥٠هـ
٧٧٠ ـ ٨٦٤م

إسمه ونسبه

هو يحيى بن الحكم البكري ـ أبو بكر ـ ، وقيل أيضاً أبو زكريا ـ الجَيّاني نسبةً لجيَّان ـ الغزَال ـ بتخفيف الزاي ـ لوسامته وجماله وأناقته ، وقد لُقب بهذا اللقب منذ صباه ، وقيل في غمرة رجولته ، وقيل وهو في حدود السبعين إستناداً إلى قصيدة أنشدها أمير الأندلس وفيها « حسنه وجماله » ، وإن هذا اللقب قد أطلقه عليه تودداً وتحبباً صديقه ومولاه الأمير عبد الرحمن ، وبهذا اللقب اشتُهر .

ويرتفع الغزال إلى قبيلة بني بكر بن وائل[1]. فهو من أبناء البيوت العربية الأصيلة .

وقد نشأ نشأةً دينيةً واكتسب منذ صباه « أخلاق الفروسية » ومآثرها ، ولا غرو في ذلك ، فهو ينتمي إلى قبيلة من أعز القبائل في شرقي الجزيرة العربية ، وسليل قبيلة عظيمة من العدنانية تنسب إلى بكر بن وائل ابن قاسط حتى تنتهي بابن نزار بن معد بن عدنان . وهي قبيلة طبقت شهرتها الآفاق وعرفت بالعديد من رجالها ، وكانت أراضيها تمتد من اليمامة إلى البحرين فأطراف العراق .

وفيها البطولة والفروسية والشجاعة والإقدام . وقد عرّف عنها المؤرخون بأنها من أعظم القبائل المحاربة ؛ ومن أعمالها أنها غزت تخوم الأمبراطورية الفارسية ، وأغارت على بعض بوادي الشام حيث قتلوا ملكاً من ملوك غسّان واستنقذوا أمرأ القيس بن المنذر .

ومن أعظم أيام بكر بن وائل الحربية معركة ذي قار على عهد النبي محمد ﷺ .

وقد اعتنق الإسلام كثير من أبناء هذه القبيلة

---

(١) معجم المؤلفين ، عمر كحالة

وكان ذلك في السنة التاسعة من الهجرة النبوية .

ولما انتشرت فتوح العرب بعد الإسلام نفرت فيها عشائر ضخمة من بكر ، وأوغل بعضهم مع الفتوح حتى استقروا في غربي الأندلس وجنوبيها ، ومنها مدينة جَيَّان ، التي سكنوها مدة طويلة ، حيث ولد يحيى بن الحكم الغزال .

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

مولد الغزال

وُلد الغزال في مدينة جَيّان وإليها ينتسب .

وقد اختلفت المصادر في تحديد سنة ولادته . فمنها ما ذهب إلى القول بأنه رأى النور في حدود سنة ١٥٦ هـ (٧٧٣ م) كما في « الاعلام » للزركلي[١]، وفي معجم المؤلفين لكحالة[٢]، والموسوعة العربية الميسرة[٣]. ومنها ما حدد تاريخ ولادة الغزال واعتبره في سنة ١٥٠ هـ (٧٧٠ م) إستناداً إلى بعض أشعاره والوقائع التي عاشها ، ومنها قوله :

وما ليَ لا أبْلى لتسعين حِجَّةً
وسبعٍ أتتْ من بعدها سنتان؟ ؟

---

(١) الأعلام ـ لخير الدين الزركلي ، ط٢ جزء ٩ ص / ١٧٣
(٢) معجم المؤلفين ـ عمر رضا كحالة ، جزء ١٣ ص ١٩٣
(٣) ص ١٢٥٤

وقد وُلد الغـزال في زمـن إمـارة عبـد الرحمـن بن معاوية ، وكان في السادسة عشرة عند وفاتـه . وتـوفي سنـة ٢٥٠ (٨٦٤ م) . وعلى ذلك فيكون قد عاش قرناً كاملاً تقريباً وعايش عهود خمسة من الأمراء :

إمارة عبد الرحمن الأول ، وإمـارة هشـام ، وإمـارة الحكم ، وإمارة عبد الرحمن الثاني ، وجزءاً من عهـد الأمير محمد . ويقول في ذلك :

أدْركتُ بالمصرِ ملـوكاً أربعـة
وخامسـاً هذا الـذي نحـن مَعَه .

ويعنـي بالمصر قرطبـة حيث عاش أطـول سنـي حياته .

وقد حكم الخمسة الأمراء الـذين عايشهـم الغـزال في التواريخ التالية :

سنة

١/ عبد الرحمن الأول الداخل (أبو المطرف عبد الرحمن الأول بن معاوية المعروف بالداخل)	١٣٨ ـ ١٧٢هـ ٧٥٦ ـ ٧٨٨م	ـ ذو الحجة ١٣٨ توفي ١٠ جمادي الآخرة ١٧٢هـ
٢/ هشام الأول بن الداخل عبد الرحمن (ابن معاوية بن هشام) أبو الوليد الراضي (العادل) هشام الأول (بن عبد الرحمن)	١٧٢ ـ ١٨٠هـ ٧٨٨ ـ ٧٩٦م	ـ جمادي الآخرة ١٧٢هـ توفي ٣ صفر ١٨٠هـ
٣/ الحكم الأول بن هشام أبو العاصي الحكم (الأول) المنتصر بن هشام	١٨٠ ـ ٢٠٦هـ ٧٩٦ ـ ٨٢٢م	ـ صفر ١٨٠هـ توفي ٢٧ ذي الحجة ٢٠٦هـ
٤/ عبد الرحمن الثاني بن الحكم أبو المطرف عبد الرحمن (الثاني) بن الحكم	٢٠٦ ـ ٢٣٨هـ ٨٢٢ ـ ٨٥٢م	ـ ذو الحجة ٢٠٦هـ توفي ٣ ربيع الثاني ٢٣٨هـ
٥/ الأمير محمد الأول بن عبد الرحمن (الثاني) بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الأول الداخل أبو عبد الله محمد (الأول) بن عبد الرحمن	٢٣٨ ـ ٢٧٣هـ ٨٥٢ ـ ٨٨٦م	ربيع الثاني ٢٣٨هـ توفي ٢٨ صفر ٢٧٣هـ

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

ثقافة الغزال و«ديوانه»

يبدو من خلال دراسة حياة وسلوك وخبرة يحيى بن الحكم الغزال أنه تلقى ثقافة واسعة متينة كان لها أثر بالغ في تكوين شخصيته . فقد جمعت ثقافته بين اللغة والأدب والبلاغة والفقه والفلسفة والفلك والتنجيم وقيل أنه كان يتقن اللغة البيزنطية وبها تحدث إلى ملكة الروم عندما أرسل سفيراً إلى القسطنطينية . ويقول عنه ابن حيان : «كان الغزال حكيم الأندلس ، وشاعرها ، وعرّافها» وقال عنه الأستاذ إحسان عبّاس[1] : «ومع أنه كان عرّافاً أيضاً فإن الشعر أبرز أدواته وهو أعلى من غيره - في هذا المجال - مرتبةً» .

---

(١) عصر سيادة قرطبة ، ص ١٠٦

وقد نظم الشعر منذ مطلع صباه ، ونظم كثيراً من القصائد في شتى المناسبات ؛ وقيل[1] إن الشاعر حبيباً بن أحمد الشطحيري قد كُلِّف بجمع شعر الغزال ، فجمعه ورتبه على الحروف[2]، وهذا ليس بمستبعد . والشطحيري هذا من أعيان أهل الأدب في قرطبة ، وقد أدرك أيام الحكم المستنصر وتوفي نحو سنة ٤٣٠هـ عن سن متقدمة . ولم يصلنا هذا « الديوان » مجموعاً بكامله .

*

وكان الغزال ذكياً ، برز نبوغه باكراً ، فانفرد بالإبداع وكثرة القول ، والنظم الجيّد الحسن المطبوع في الحِكَم والهزل على السواء ، وامتاز بالفكاهة المستملحة والدعابة والتهكم ، ولو أن في بعض أشعاره ما قد يشير إلى نزعة فلسفية حرة بالمفهوم الحاضر!

ووصفه المؤرخون بأنه « شاعر الأمير » عبد الرحمن الثاني (٢٠٦ ـ ٢٣٨ هـ / ٨٢٢ ـ ٨٥٢ م)؛ فقد اختاره شاعراً له عام ٨٣٩ م .

---

(١) بغية الملتمس ، رقم ١٤٦٧

(٢) جذوة المقتبس ، الحميدي ، ص ١٨٦/ ١٨٧

وكما هو الحال بالنسبة للكثير من المستندات والأعمال الفكرية القديمة ، فقد فُقِد « ديوان الغزال » . والذي عُثِر عليه من نظمه هو بعض نظمه مما حوته بطون المؤلفات القديمة وتناثر بين صفحاتها ، والتي كان مؤلفوها يستشهدون بأقواله أو يروونها عنه ، وهي لا تؤلف « الديوان » بكامله ، بالرغم من أن الوقائع تشير بأن له « ديواناً »[١]

فقد رأينا أن الشطحيري عمد إلى جمع أشعار الغزال « بديوان » ، لكنه فُقِد ؛ كما أن حاجي خليفة أكّد أن له « ديواناً »[٢] .

ولقد حاول الأستاذ الدكتور حكمة علي الأوسي[٣] أن يجمع أشعار الغزال . هذا وقد ذكر الأستاذ الدكتور إحسان عباس طائفة كبيرة من أشعاره ، استعان بها الأدباء للوقوف على شعر الغزال ، وذلك

---

(١) الموسوعة العربية ، ص ١٢٥٤

(٢) كشف الظنون ، عمود ٨٠٤

(٣) فصول في الأدب الأندلسي ص ١٧٢ ، الملحق ، وقد اعتمدنا وحققنا هذا المجموع استناداً للجهود القيمة التي بذلها في هذا المجال البحاثة الأستاذ الدكتور حكمة علي الأوسي (قسم اللغة العربية ـ كلية الآداب في جامعة بغداد) وإلى رسالته الجوابية التي وجهها لنا بهذا الشأن وهي طافحة بالمشاعر الرقيقة وإننا نتقدم منه بأسمى آيات الشكر والتقدير .

في شتى أبحاثه وتحقيقاته القيمة عن الأدب الأندلسي .

وجدير بالذكر أن ما أمكن جمعه وتقديمه وتحقيقه في هذه الدراسة من « ديوان » للغزال ، عُثر عليه في شتى المراجع التي سنشير إليها في حينه ؛ وكثيراً ما وقعنا خلال بحثنا عن أشعار للغزال على اختلاف في صدر بيت أو عجزه ، أو في كلمة منه ، كما ورد بين مرجع وآخر ، وقد يُعزى ذلك إلى عمل الناسخين ، أو قول الناقلين ، وهو من الأمور المعروفة والتي لا تخفى على البحاثة والمطلعين .

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

« أرجوزة » الغزال

تؤكد سائر المراجع التي أشارت إلى الغزال أنه نظم « أرجوزة » في فتح الأندلس . وقال فيها ابن حيان[1] أنها « كانت جميلة ، طويلة ، عرض فيها أسباب الفتح والوقائع التي جرت بين المسلمين وأهل البلاد ، وأطال الحديث عن أمراء هذا الصقع في أسلوب جميل فيه عمق ، وكانت شائعةً متداولة بين يدي الناس . وقد ضاعت هذه الأرجوزة » .

ويؤكد بروكلمان أن الغزال قد نظمها عندما حط الرحال في بلدة شنت يعقوب[2] حيث أقام شهرين

---

(١) تاريخ الفكر الأندلسي ، غونزالس بلانسيا ، ترجمة حسين مؤنس ، ص ٥٥/ ٥٦

(٢) بروكلمان ، تاريخ الأدب العربي ، ترجمة عبد الحليم النجار ، جزء ٢ ، ص ١٠٤ Santiago de Compostela
وبالفرنسية Saint Jacques de Compostelle

عائداً من سفارته إلى بلاد النورمان كما سنرى ذلك في حينه ، « فأجاد وتقصّى وهي بأيدي الناس موجودة »[1]

ولقد كان الغزال سبّاقاً ، في هذا المجال من النظم الشعري لوقائع التاريخ ، لابن عبد ربه الذي أصبح من الروّاد في هذا اللون الفنّي من نظم السير التاريخية[2] .

وفي هذا المجال يقول محمد خليفة التونسي[3] : « وهو - أي الغزال - يُعدُّ في ذلك ، أي في نظم التاريخ الأندلسي بارجوزة - من أوائل من اتخذوا وقائع التاريخ موضوعاً للنظم ، إن لم يكن أولهم جميعاً . فهو أسبق في ذلك من الشاعر العباسي ابن المعتز ، وأسبق من ابن عبد ربه صاحب « العقد » ، وكان يعاصر الغزال وإن كان أصغر منه سنّاً » .

وجدير بالذكر أن هذا النوع من الأراجيز التي استحدثها الغزال وابن عبد ربه إنما يعتبر من مظاهر التجديد المبدع والابتكار الأصيل في عالم الشعر بالأندلس .

---

(١) نفح الطيب ، جزء ٢ ، ص ٣٤٣

(٢) دراسات في الأدب الأندلسي ، الدكتور سامي مكي العاني ص ٢٨٦

(٣) العربي ، عدد ٢١٢ ، رجب ١٣٩٦هـ / يوليو ١٩٧٦ ، ص ١٣٢

وقد حذا حذو الغزال في وضع الأرجوزة تمّام بن عامر بن علقمة (١٨٤ ـ ٢٨٣هـ / ٨٠١ ـ ٨٩٦م)، فهو عالم، أديب، له أرجوزة مشهورة في ذكر إفتتاح الأندلس، وتسمية ولاتها والخلفاء فيها، ووصف حروبها من وقت دخول طارق بن زياد مفتتحها إلى آخر أيام الأمير عبد الرحمن بن الحكم.

وجاء بعد الغزال، أبو طالب عبد الجبار، وهو من أهل جزيرة شُقْر Jucar، وكان يُعرف بالمتنبي، وعاش في حدود سنة ٥١٩ هـ / ١١٢٦ م وعارض الغزال بأرجوزته. ويقول عنه أبو الحسن علي بن بسّام الشنتريني[1] المتوفى حوالي (٥٤١/٥٤٢ هـ ـ ١١٤٧ ـ ١١٤٨ م) أن «له أرجوزة في التاريخ أغرب فيها وأعرب بها عن أُلُف محلِّه من الفهم، ورسوخ قدمه في مطالعة أنواع العلم».

(١) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، القسم الأول، المجلد الثاني، ص ٤٠١ وما يليها

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

شخصية الغزال

كان يحيى بن حكم الغزال يتمتع بشخصية فذة طبقت شهرتها آفاق الأندلس وغيرها. فقد كان من كبار رجال الدولة، مشهوداً له بالحكمة والدهاء، وكان يجمع في شخصه عناصر الذكاء والبديهة الحاضرة والفكاهة وخفة الروح والظرف والجد والهزل، هذا بالإضافة إلى الثقافة الواسعة والنجدة والإقدام. وقد كان يُعتبر هو وعباس بن فرناس صديقه، نموذجين لطرافة الشخصية وللأصالة الفكرية المبكرة في الأندلس[1]. وقد وصفه الضبّي «بالرئيس»[2] وأنه بالرغم من هزله وفكاهته فهو رجل جدّ وعمل، «جليل في نفسه وعمله ومنزلته عند أمراء بلده». ويقول عنه الأستاذ محمد عبد الله عنان :

---

(١) فصول في الأدب الأندلسي، حكمة علي الأوسي، ص ٨٣

(٢) بغية الملتمس رقم ١٤٦٧

« كان مدى نصف قرن يتبوأ الزعامة في ميدان الشعر والأدب والحكمة ، ويتبوأ في بلاط قرطبة أسمى مقام من النفوذ والثقة والتقدير »[1]

ويقول عنه[2] أيضاً: « بالإضافة إلى صفة الشاعر الفيلسوف والمفكر الحر ، فقد عُرف الغزال بصفة أجلّ وأخطر هي صفة الحكيم الناصح والسياسي المحنّك واشتُهر بأصالة الرأي وحسن التدبير واللباقة والدهاء ، مع أنه لم يكن من رجال الدولة الرسميين . لكن هذه الخلال كانت تفسح له في بلاط قرطبة مكانةً خاصةً وتجعله موضع الثقة والتقدير .

وقد لبث على هذه المكانة في الدولة بعد وفاة الحكم وتولّي ابنه عبد الرحمن ونظم في سلك كتاب البلاط . وكان منصب الكتابة من المناصب التي تسند عادةً إلى المقربين من خاصة الأمير وجلسائه من الأدباء والشعراء ، فيغدو لهم مورد رزق . وتوثقت بين الغزال وبين الأمير الجديد صداقة متينة العرى ،

---

(١) مجلة « الرسالة » القاهرية ، عدد ١٣٢ ، سنة ١٩٣٦ ، ص ٤٨

(٢) في « تراجم إسلامية شرقية وأندلسية » دار المعارف بمصر ، طبعة أولى سنة ١٩٤٧ ص ١٣٨

وكان عبد الرحمن يستشيره في كثير من شؤون الدولة ومهامها » .

*

ولقد لمعت شخصية الغزال أكثر ما يكون في سفارتيه إلى ملك القسطنطينية وإلى ملك النورمان حيث مثل مرسله الأمير عبد الرحمن وفاوض وناقش ونجح في مهمتين تعتبران من أصعب الأحداث التاريخية الإسلامية ـ الأوروبية في العصر الوسيط . ويكاد يجمع المؤرخون على أنه كان سفيراً نموذجياً عظيماً . وسنأتي على ذكر هاتين السفارتين في القسم الثاني من هذه الدراسة .

لقد كان الغزال ظاهرة عجيبة تستلفت الأنظار .

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

انتقاده القضاة والفقهاء

رأينا أن الغزال قد تمكن من نظم الشعر وروايته وهو بعد في سنّ الشباب . ومنذ هذه الفترة لمع نجمه وأصبح متضلعاً من تراث قومه وأخذ يتصل بكبار علماء قرطبة ، فاستوعب الكثير من ثقافتهم وبرزت شخصيته في أوساطهم .

ومما يروى له من حوادث مع القضاة والفقهاء حادثة تدل على مدى تعمقه باللغة ومعرفته بفنون الشعر ، جرت بينه وبين القاضي عباس بن ناصح الثقفي ، قاضي الجزيرة الخضراء .

فقد كان هذا القاضي يفد على قرطبة حيناً بعد آخر ، فيأخذ عنه أدباؤها وفقهاؤها . وفي إحدى جلساته الدورية تُليت قصيدة له مطلعها :

لَعَمْـرُكَ ما البلـوى بعـارٍ ولا العَـدَمْ
إذا المرء لم يعْـدَم تُقـى الله والكرمْ

حتى انتهى قارؤها إلى قوله :

تجـافَ عن الـدنيا فما لِمُعَجِّـزٍ
ولا عاجـزٍ إلاّ الـذي خُطَّ بالقلمْ

فانبرى الغزال له ، وكان في الحلقة ، وهو إذ ذاك حدث نظـام ذكي القريحـة ، وقـال للقـاضي : « أيهـا الشيخ وما الـذي يصنـع مُفَعِّـل مع فاعـل ؟ » فقـال له : كيف تقول ؟ فقال : كنت أقول : فليس لعاجـزٍ ولا حازمٍ . أي أن البيت :

تجـاف عن الـدنيا فما لمعجـز
ولا عاجـز إلاّ الـذي خط بالقلم

يصححه الغزال للقاضي عباس هكذا :

تجـاف عن الـدنيا فليس لعاجـزٍ
ولا حازمٍ إلا الـذي خُطَّ بالقلم

فقال القاضي : والله يا بني لقد طلبهـا عمـك فما وجدها » !!

*

وللغزال قصة مع القاضيين الأخوين يخُامِر ومعاذ الشعباني تبرز شخصيته في إرادة الخير والحق ، كما تدل على طول باعه في القدح والذم . . .

كان القاضي يخُامر الشعباني قد وُلِّيَ القضاء في سنة ٢٢٠هـ ، وكان ذا ثقافة عميقة وتفهم بليغ متين للأحكام . لكنه كان ذا سلوك فظ مع الناس ، يسيء إليهم . ويستهزيء بهم ، فاستثار موقفه هذا الغزال فقال فيه قصيدةً أخذ الناس يتداولونها ويتندرون بها ولم نجد منها سوى قوله فيه :

فسبحان من أعطاك بطشاً وقوةً
وسبحان من ولّى القضاءَ يخُامرا !!

وقد كان من جراء هذه القصيدة وذاك السلوك أن لم يبق يخامر طويلاً في القضاء . . .

*

ووُلِّيَ القضاء فيما بعد أخو يخُامر ، معاذ بن عثمان الشعباني ، وكان على عكس أخيه طيباً ، زاهداً ، عابداً ، خيراً ، لكنّه كان على ما حكاه ابن حارث « يعجّل بالحكومة » (يعجل في إصدار الأحكام) فأحْصي عليه في مدة سبعة عشر شهراً قضاها في

الحكم ، سبعون قضيّة أنفذها فاستُنكرت منه ، وخيف عليه الزلل فعُجِّل عزله من قِبَل من ولاّه ، وهو الأمير عبد الرحمن بن الحكم .

وكان من طيبة قلب مُعاذ أن وَلَّى احباسَ قرطبة رجلاً ظن فيه خيراً ، وما لبث أن اكتشفه وشكى أمره وما وقع فيه للغزال . فما كان من الغزال إلاَّ أن جابهه بقوله :

يقول لي القاضي معاذ مشاوراً
وولى امرأً ، فيما يرى، من ذوي الفضل

فديتك ، ماذا تحسب المرء صانعاً ؟
فقلت : وماذا يصنع الدبّ بالنحل ؟

يَدُق خلاياها ويأكل شهدها
ويترك للذِبّان ما كان من فضل !!

*

كان الفقهاء يتمتعون بنفوذ قوي في بلاط قرطبة منذ عهد الأمير هشام ، جد الأمير عبد الرحمن الثاني . وقد بلغ هذا النفوذ من الاتساع ما جعلهم يتدخلون بشؤون الدولة والناس ، حتى أصبح يشكل خطراً على الحاكم بذاته ، الأمر الذي أثار الأمير الحَكَم فأخذ يعمل على تقليص سيطرة الفقهاء . لكنه

لم ينجح ؛ إذ أجمعوا أمرهم وجابهوه وهددوه من على المنابر وزاد في حدة هجومهم عليه والتجريح به سلوكُه الشخصي من حيث إسرافه وبذخه فاتخذوا من ذلك مادةً دسمةً للتعريض به .

فما كان منه إلاّ أن جمع لهم عدداً من الفقهاء والعلماء والشعراء والأدباء الذين ناصروه وآزروه ؛ فنال هؤلاء أيضاً من أجل ذلك نصيبهم من شرارات خصوم الأمير .

وكان الغزال في جملة من أصابهم تجريح الفقهاء وهجاؤهم كما كان شأن عباس بن فرناس الذي كالوا له الاتهامات حتى وصموه بالزندقة ولم تفلح المحاكم بإدانته .

ومن الطبيعي أن يقذف الغزال الذرب اللسان بحممه على أولئك الفقهاء ، وطالما كان ينعتهم بالجَهَلَة ، وطعنهم هذه المرة لا بالجهل ، بل في صميم أخلاقهم ، بل في أفظع ما يمكن أن يُطعن به قاض أو فقيه : فقد طعنهم بتهمة جمع المال من الحرام أي بالرشوة والطرائق غير الشرعية مستغلّين مناصبهم ومستثمرين المتقاضين . إسمعه يقول :

لسْت تلقى الفقيه إلاّ غنياً
ليت شعري من أين يستغنونا ؟

تقطع البر والبحر طلاب الرزق
والقوم ها هنا قاعدونا
إن للقوم مضرباً غاب عنا
لم يصب قصد وجهه الراكبونا !!

*

وطبيعي أن لا يسكت الفقهاء عن هذه الاتهامات . فقرروا شنّها حرباً لا هوادة فيها على الغزال . وهذه المرة بالردّ عليه متهّمينه بالإلحاد والتشكك ، مستغلّين بعض ملامح التحرر في شعره .

الواقع أن الغزال لم يكن ملحداً ولا متشككاً . لقد كان مسلماً وزاهداً ، ولو أنه في بعض ساعاته نظم ما عنّ له عن النفس والروح بأسلوب يجوز أن نسميه اليوم بالأسلوب العلمي ، ولكن دون أن ننعت الغزال بالتخلي عن الإيمان والشك بالله عزّ وجلّ .

ومن أقواله التي استند إليها الفقهاء ليشهروا به أمام الناس :

يا ليت شعري أي شيء محصل يرى
شخص من قد مات وهو دفين

أهــو هو أم خلــق شبيه بمــا رأى
فقــل للقلــوب النــائمات عيون
وكيف يرى والعــين قد مات نورهــا
وواقعــه شبــه الوقــار سكون
لئــن كانــت الأرواح من بعــد بينهــا
بهــن إلى ما خلفهــن حنين

. . . . . .

. . . . . .

ولــم يصلنــا من هذه القصيدة ما يكمــل المعنــى الذي قصده الغزال .

على أن هجومهم عليه لم يثمر ، وظلت مكانته في البلاط رفيعة، وبين النــاس موضــع تقــدير وإعجــاب واحترام .

ومــا ندري ما قيمــة القــول بأنــه تعــرض لأمــور القضــاء والقــدر وغيرهــا من الماورائيات في أرجوزتــه التــي لم تصــل إلينــا . فإن صح ذلك ، فإنــه يكون هو الذي ساعد خصومه الفقهاء على طعنه في صلــب عقيدته ، مستندين بذلك إلى أقواله هو .

وليس من الممكن الحكم على هذا الواقــع إن كان صحيحــاً . فلنــا من مواقفــه التــي سنتعــرف إليهــا ما

يناقض إمكانية إتهامه بالإلحاد والشك ، هذا بالإضافة إلى أننا لم نطلع على هذه الأرجوزة التي « كانت معروفة ومتداولة بين أيدي الناس » كما رأينا .

*

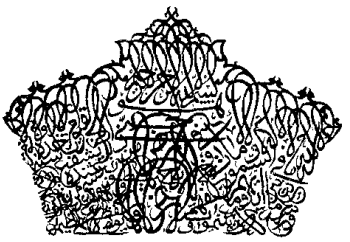

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

محاولة الغزال محاكاة القرآن الكريم

على الرغم من صلابة تربيته الدينية، وقوة عقيدته، وعميق إيمانه، فقد رُوي إن الغزال، وهو في مقدمة شعراء وبلغاء الأندلس في عصره، فكّر بمعارضة سورة «الإخلاص» من القرآن الكريم. وطبيعي أنه عجز كما عجز غيره من قبله عن ذلك. فالقرآن الكريم ليس من قول البشر إنما هو «تَنْزِيلٌ منْ رَبِّ العَالمينَ»[1] وقد قال الله تعالى: «تَنْزيلُ الكتاب لا ريبَ فيه، من ربِّ العَالَمِينَ»[2] و«قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ والجِنُّ عَلى أَنْ يأتُوا بِمِثْلِ هَذَا القُرآنِ لا يأتونَ بمثلِهِ»[3]

---

(١) الآية ٨٠ من سورة الواقعة رقم ٥٦
والآية ٤٣ من سورة الحاقّة رقم ٦٩
(٢) الآية ٢ من سورة السجدة رقم ٣٢
(٣) الآية ٨٨ من سورة الاسراء رقم ١٧

ومعرفةً منا بنفسية الغزال وإيمانه ، فإنه لا يسوغ إتهامه بالتجرؤ على الله عز وجل ومحاكاة كتابه العزيز ؛ إنما هو سلك سلوك من فكر بامتحان مقدرته البلاغية الشخصية قياساً على القرآن الكريم فلم يستطع بلوغ ما أراد ، واستغفر ربَّه وأناب .

وقد أورد المقّري هذه المحاولة من الغزال بقوله[1] « حُكي أن الغزال أراد أن يعارض سورة « قل هو الله أحد » . فلما رام ذلك أخذته هيبة وحالة لم يعرفها ، فأناب إلى الله فعاد إلى حاله » .

كما أوردها القاضي عياض في معرض الحديث عن إعجاز القرآن الكريم فقال[2] :

« . . . . وكان يحيى به حكم الغزال بليغَ الأندلس في زمنه ، فحُكيَ أنه رام شيئاً من هذا - أي من معارضة القرآن الكريم - فنظر في سورة الإخلاص ليحذو على مثالها ويَنْسُجَ بزعمه على منوالها . قال فاعترتني منه خشية ورِفَّةٌ حملتني على التوبة والإنابة » .

(١) نفح الطيب ، جزء ٢ ، ص ٢٦١

(٢) الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، جزء ١ ، ص ٢٧٥

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

قصة الاهراء

قصة الاهـراء هذه طريفـة ومزعجـة في آن معـاً . فقد أودت بالغزال إلى السجن . . .

ذلك أنه بالرغم من الروابـط الوثيقـة بـين الغـزال والأمير عبد الرحمن بن الحـكم ، وهـي روابـط قائمـة على الاحتـرام المتبـادل والتفاهـم والشعـر ـ فقـد كان الأمير عبد الرحمن شاعراً ـ فقد اضطر يوماً إلى حبس الغزال ، بعد أن سيق إليه مكبـلاً ، وذلك على أثـر موقف له يتعلق بأمور الاهراء التي وُلِّي عليها .

وخلاصـة القصـة كما وردت في شتـى المراجـع أن الأمير عبد الرحمن ، أبو المطـرف ، ولَّـى الغـزالَ قبض الأعشـار واختزانهـا في الاهـراء . وكان توسّـل إليه بمديح مدحه به ؛ فنفق الطعام في ذلك العـام ، وسما السعر بالقحط سمواً كثيراً ، فوضع (الغزال) يده في

البيع حتى أتى على ما كان عنده في الاهـراء (جمـع هُرى ، بالضم) ثم إنـه نزل الغيث ورَخُص الطعـام فأُعلم السلطان بمـا فعـل الغـزال من البيع ، فانـكره وقال : « إنما تُعدُّ الأعشار لنفقات الجند والحاجة إليها في الجهـد ، فماذا صنـع الخبيث ؟ خذوه بأداء ما باع أثمانها واشتروا به طعاماً ، وأصرفـوه في الاهـراء إلى وقت الحاجة إليه . فلما طُلب منه ثمـن ما باع أبـى من ذلك وقال : إنما أشتري لكم من الطعام عدد ما بعت من الامداد ، وبين العددين بون كثير نحو من ثلاثين ألفـاً . فاعلم السلطـان بامتناعـه من الأداء ، وبما ذهب إليه من شراء مثل ما باع . فأمـر بسجنـه وحمْله إليه في الكبْل ، فسيق إلى قرطبة وسجن بهـا . فصنع في السجن القصيدة التالية :

مَنْ مُبلـغٌ عنّـي إمـام الهـدى
الـوارث المجـد أبـاً عن أبِ

(انظرها في « الديوان »

وقد جاء في نهايتها :

إن تُرِدِ المالَ فإنـي امـرؤ
لم أجمـع المالَ ولـم أكسبِ
إذا أخـذتَ الحـقّ منـي فلا
تلتمس الربـحَ ولا تَرغبِ

قد أحسـن الله الينـا معـاً
إن كان رأس المال لم يذهبِ

ورفعـهـا إليه . فلما قُرِيء شعره لدى الأمير أعجب به ، وأعجـب به الحـاضرون ، وقـال له بعضهـم : « لقد نصفك الغزال في قوله :

قد أحسـن الله إلينـا معـاً
إن كان رأس المال لم يذهب!

فإنه لو ذهب أيها الإمام ، أيُّ ذمة كانت تفـي به للغـزال ، مع ما هو عليه من الانهماك وقلـة المال ؟! فضحك الإمام وأمر بإطلاقه !

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

نظرة في شعر الغزال

لا بد لنا من الاطلاع على مجموع شعر الغزال لنقف على العناصر المكوّنة لشخصيته الشاعرية . ولكن الوصول إلى مجموع شعره يبدو مستحيلاً بعد أن فُقد منه الكثير، بما فيه أرجوزته عن التاريخ الأندلسي التي كان من شأنها أن تعطينا فكرة عن الغزال المؤرّخ .

لذلك فإننا سوف نطلع على ما وصل إلينا من أشعاره ، وهو منثور كما قلنا بين طيّات العديد من المؤلفات القديمة ، وقد لقينا في البحث والتحقيق عنها نَصَباً .

وعليه فإن لنا أن نستشف ونقدر معالم شاعرية الغزال من خلال ما توفر لنا من شعره ، تاركين البحث عن شخصيته عبر المهمات التي وكلت إليه ،

وفي مقدمتهـا سفارتـاه إلى القسطنـطينية وإلى بلاد النورمان ، وقد حدثت له أمـور في كلتيهما ثبتهـا في بعض أشعاره وسننظر فيها حين سرْد قصة سفاريته .

*

كان أبـرز مظاهـر امتياز شعـر الغـزال في سلـوكه الحياتي الخاص وميله إلى السرد القصصي ، والتصـوير الواقعي ، فاهتـم بالبسـط والـوصف والتحليل ، فجـاء شعره هيناً لينـاً عليه ميزة الفـن القصصي والعميق في آن واحد، هذا فضـلاً عن براعتـه في نظـم الحِـكم مستنداً إلى تلك المدرسـة الفلسـفية الحياتية التـي كان رائدهـا . وإنـك لتجـد في بعض نظمـه أبياتـاً انفرد بـاختراعها تركيباً ومعنى وجرساً فأجاد وأبدع .

كل تلك الميزات كانـت عامـلاً فعَّـالاً في إبـراز شخصيته الطريفة واشتهار شعره في كل مكان .

*

ففـي الأبيات التـالية مثـلاً يعلمنـا كيف أن النفس الإنسانية الممثلـة بفتـاة طروب لعـوب ، إنمـا تميل إلى الشباب ولو كان معدماً وتعرض عن الشيخ ولـو كان ثرياً ، وذلك من خلال حديث بين فتاة وأبيها الـذي أراد تزويجها من شيخ طاعن لكنه ثري :

وخيرّهـا أبوهـا بـين شيخ
كثـير المال أو حدث فقير
فقالـت: خطتـا خسف، ومـا إن
أرى من حظـوة للمستخير
ولـكن إن عزمـت فكل شيء
أحـب إلي من وجـه الكبير
لأن المرء بعـد الفقـر يثـرى
وهـذا لا يعـود إلى صغير!

إن الغزال هنـا يميل إلى التحليل في تصـوير حـيرة الفتـاة ولكنهـا تنتهـي إلى اختيار من تعانـق روحهـا روحه : الشاب المعدم ولا الشيخ الغني . . . .

*

وإليك قصيدة أخرى تبرز من خلال أبياتها نظـرة واقعية في الحياة :

يا راجياً وُدّ الغوانـي ضِلَّـةً
وفـؤادُه كَلِفٌ بهـن مُوكَّل
لا تكلفـن بوصلهـن فإنمـا
الـكلف المحـب لهـن من لا يعقل
إن النسـاء لكالسروج حقيقـةً
فالسَّرْج سرجـك ريثما لا تنزل

إلى آخر القصيدة وهي مثبتة بكاملها في نهاية هذا الكتاب .

*

وإليك أيضاً هذين البيتين اللذين يبرزان حقيقة واقعية أزلية دالة على ماهية الطبيعة البشرية :

إذا كنتَ ذا ثروةٍ من غَنَى
فأنتَ المُسَوَّدُ في العالمِ
وحسْبُك من نَسَب صورةٌ
تُخَبِّر أنك من آدمِ ! . .

واسمعه في مجال الحِكَم يقول :

وإن أعطيتَ سلطاناً
فحاذر صَوْلَةَ الزمن
أخو السلطان موصوف
بحسن الرأي والفطن
فساعةَ ما يزاوله
رماه الناس باللعن
ويصبح رأيه المحمود
منسوباً إلى الأفَن
وتبصر في مطيته
سقوطَ العين والأذن

وتسترخـــي مفاصلـــه
وتـــكسى كســـوة الحزن
كأن بشاشـــة السلطـــان
حـــين تزول لم تكن . . .

*

وفي مجال التحدث عن أن الـكمال ليس في طينـة البشر وأن الناس مولعون بذكر نقائص الغير يقول :

النـاس خَلْـق واحـــد متشابـــه
لكنّما تتخـــالـــف الأعمـــــال

(راجع القصيدة المثبتة في نهاية هذا الكتاب) .

*

ونجد في شعر الغزال نظرات فلسفية خاصة مردها إلى تربيته الدينية ، فهو لا يرى عصمةً لمخلوق وإنمـا يبـرزُ تفـاوتُ النـــاس من خلال التستـــر عن العيوب والإعلان عنها :

إذا أُخبـــرت عن رجـــل بريء
من الآفـــات ظاهـــره صحيح

فسلهـم عنـه هل هو آدمـي
فإن قالـوا نعـم فالقـول ريح
ولـكن بعضنـا أهـل استتـار
وعنـد الله أجمعنـا جريح
ومـن إنعـام خالقنـا علينـا
بأن ذنوبنـا ليسـت تفوح

إلى آخر القصيدة . .

*

شعر الغـزال بوطـأة الأيام وإقبـال الشيخوخـة ومـا تحمله من وهـن وضـعف وذهـاب للشبـاب فقـال من قصيدة سبق أن أشرنا إليها :

أين الجمال له، الجمال من امـريء
ألقـاه ريب الدهـر في أغلاله ؟
وأعـاده من بعـد جدّتـه بلى
وأحـال رونـق وجهـه عن حاله

الخ . . .
وفي قصيدة أخرى يقول :

أعـطِ الشبيبـة ـ لا ابـالَكَ ـ حقهـا
منهـا فان نعيمها متحول . .

وبعد أن طعن في السن أحسّ بالغربة بينه وبين معاصريه ، وهو الذي عاش خمسة عهود وشاهد العجائب والغرائب طيلة قرن تقريباً فقال من قصيدة :

أصبحت واللهِ محسوداً على أمدٍ
من الحياةِ قصيرٍ غيرِ ممتدِّ

إلى آخر القصيدة .

*

وأخيراً نقرأ له قصيدة تدل على زهده ساخراً من الحياة نظمها حتماً في ساعة تحقق فيها أن كل شيء إلى زوال ، فتساءل ما بال الناس يتهافتون على المتاع « وما الحياةُ الدُّنيا إلاَّ مَتَاعُ الغرور »[1] « إعْلَمُوا أنَّمَا الحيوةُ الدُّنيَا لعبٌ ولهوٌ وزينة وتَفَاخرٌ بَيْنكم وَتَكَاثُرٌ في الأموالِ والأولادِ »[2]، فما بال الناس يفتنهم التفاخر بينهم بالألقاب والغنى وكلهم صائر إلى الموت حيث المساواة ، فقال من قصيدة :

أرى أهل اليسار إذا تُوفُّوا
بَنَوا تلك المقابر بالصخور

(١) الآية ١٨٥ سورة آل عمران رقمها ٣
(٢) الآية ٢٠ سورة الحديد رقمها ٥٧ والآية ٣٠ سورة الحديد رقمها ٥٧

وفي نهايتها يقول :

إذا أكل الثـرى هذا وهذا
فما فضـل الكبـير على الحقير؟؟!

*

لقد كان شعره الذي وصل إلينا صورةً صادقةً عن حياته ومجتمعه وما صادفه من أحداث منذ مطلع شبابه حتى قَرُب أجله وتدلنا تجربته مع الناس أن الناس هم الناس في كل مكان وزمان . وقد اعتُبر الغزال في مقدمة شعراء القرن الثالث للهجرة في الأندلس وصوّر مكانته أجمل تصوير الدكتور إحسان عباس في معرض حديثه عن ابن عبد ربه الشهير وكيف نظر هذا المفكر ذاته للغزال . يقول الأستاذ إحسان عباس[1] :

« وهناك نقطة جديرة بالنظر وهي أن ابن عبد ربه خلّد بعض شعره في « العقد » ، ووقف في بعض المواطن معجباً وهو يضع أشعاره إزاء أشعار المشارقة ، ولكنه - فيما يبدو - لم يكن يعترف للأندلسيين بكثير من الحظ في الإجادة ، وكانت

(١) عصر سيادة قرطبة ص ١٥٢

الموضوعات المتنوعة التي طرقها كفيلة أن تجعله يستشهد عليها بشعر أهل بلده ـ لم يعترف إلا للغزال بأنه يستحق أن يوضع في صف المشارقة ـ بعد اعترافه الكبير بنفسه ـ وإلاّ عرضاً لشاعر أو لآخر. ثم إنه لم يختر للغزال أجود قطعه، أتراه كان يحس إحساساً خفياً بأنه لا يتنازل عن مرتبة التقدم في الشعر للغزال أو لغيره؟ أكبر الظن أن تقديره لنفسه قد حجب عنه حقيقة من تقدمه من الشعراء وربما لم يحاول أن يبرز مكانة الغزال في اختياره، لئلا يقلل من شأن الصورة الأندلسية التي رسمها لنفسه ».

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

بين الغزال وزرياب

زرياب المغني ، تلميذ الموسيقي العراقي الشهير الموصليّ ، كان قد وفد على الأندلس حيث أحلّه الأمير عبد الرحمن مكانةً لم يسبقه إليها أحد . ولسوف نطالع بإيجاز في معرض الحديث عن هذا الأمير ما فعل زرياب في المجتمع الأندلسي من تطوير إجتماعي .

وقد ارتفعت مكانته في قصر الأمير وفي نفسه بحيث أكرمه هذا ومنحه كل ما يتصوره الإنسان من مراتب الشرف فعظم سلطانه ونفوذه « بحيث صار يُستشفع به » . وكان له من الأثر والتأثير على الحياة الخاصة والعامة ما جعل الغزال يرى فيه خصماً بالنسبة إليه وشخصاً فاقه في الحظوة لدى الأمير . فما كان منه إلاّ أن هجاه هجواً مقذعاً أثّر كثيراً في

نفس زرياب الـذي خاف عندئـذ من قوة شخصية الغـزال ومـن مقامـه في نفس الأمـير. فلـم يتـوان، وبادر فوراً إلى الأمير عبد الرحمن يشكو الغزال وينقل ما نسبـه إليه؛ فأوغـر صدر الأمـير عليه فأمـر فوراً بنفيه ولـم يعـد عن قراره إلاَّ بعـد أن كلّمـه بأمـره أكابر الدولة فتركه وشأنه.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الغزال في العراق

على أثر الحادث بين زرياب والغزال ، وبالرغم من أنه انتهى وكأنه سحابة ومرّت فعَادت المياه إلى مجاريها بين الأمير وشاعره ، إلاّ أن هذا لم يعد يجد معنى للحياة في الأندلس ، ولم تعد ترتاح نفسه إلى محيطه ، فمرّ بمرحلة اشمئزاز وسلبية قرر على أثرها مغادرة البلاد والتوجه إلى العراق ، فكانت رحلته إلى بغداد بعد موت أبي نواس بقليل . (توفي سنة ١٩٥ هـ)

وفي بغداد أنِسَت نفسه مجتمعاتها وحياتها ، فاجتمع إلى الناس ولمس حبهم للشعر والأدب فكان يجالسهم في حلقاتهم ويبادلهم أطراف الحديث .

وفي إحدى الحلقات التي ضمته وجدهم يلهجون

بذكر أبي نواس ، شاعر الخمر والمجون ، ويضعونه في منزلة لا يدانيه فيها أحد . لكنهم فيما يتحدثون ، تطرقوا إلى أهل الأندلس وشعرائها فأزْرَوهم واستهجنوا أشعارهم والغزال يستمع إليهم . وفي لحظة صمت خيمت على الحضور ، انبرى لهم بأدب ونعومة قائلاً : « من يحفظ منكم قول أبي نواس :

ولما رأيتُ الشَّرْب اكْدت سماؤهم
تأبطت زقِّي واحتبست عَنائي
فلما أتيتُ الحْان ناديت ربه
فثاب خفيف الروح نحو ندائي
قليلَ هجوع العين إلاَّ تِعلَّةً
على وَجَل مِني ومن نُظرائي
فقلت: أذقْنيها. فلما أذاقني
طرحت عليه ريطتي وردائي.

فأعجبوا بالشعر ولم يكونوا يعرفونه وهم الذين كانوا يتتبعون أقوال أبي نواس ويحفظونه ويروونه ويترقبون منه كل جديد . لذلك فإنهم فرحوا عندما تلى عليهم الغزال هذا المطلع وأبدوا إعجابهم إذ اعتقدوا أن الأندلسيين مولعون بشعر شاعرهم ، فأخذوا يغدقون مدحهم له حتى أفرطوا فغالوا . وعندما كشف لهم الغزال أن القصيدة هي له وليست

لأبـي نواس ، وأكملهـا عليهـم ، زاد أن أنشدهـم قصيدة مطلعها :

تداركتُ في شُرب النبيذ خَطَائـي
وفَارَقْـتُ فيه شيمتـي وحيائي

(ولـم يصلنـا منهـا غـير هذا البيت) ، فما كان منهم إلاَّ أن انقبضوا وخجلوا وتفرقوا عنه .

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

اشتهار شعر الغزال في الأندلس وخارجها

كان شعر الغزال يتمتع بخصائص ومميزات جعلته يبدع في كل باب طرقه .

فثمة ميزات أسهمت في انتشار أشعاره ، وهي ميزات تعتبر - بوجه الإجمال - من خصائص الشعر الأندلسي عامةً ، تلك هي السهولة في الألفاظ واختيارها ، ووضوح معانيها ، ثم الإبداع في التشبيهات والروعة في الإتيان بالكنايات ، وتغلب الخيال في جميع الأغراض ، والتزام القصد وعدم المغالاة فيما اصطلح عليه النحويون باسم المحسنات البديعية وأخيراً الإلماع إلى حوادث التاريخ وصانعيه[1].

كل هذه الخصائص سهّلت على المثقفين وغير

(١) فصول في الأدب الأندلسي ، للأستاذ حكمة علي الأوسي

المثقفين أيضاً من العاديين حفظ بعض منظومات الغزال ، فتهافت المعجبون على شعره واشتهر في الأندلس وجاوزها إلى المشرق شأنه في ذلك شأن شعر أبي نواس الذي كان يروى في المشرق وفي الأندلس ؛ ومن رواته عباس ابن ناصح الجزيري ، قاضي الجزيرة الخضراء ، الذي مرّ معنا ذكره ، وكان قد وفد على أبي نواس بالمشرق وروى عنه في الأندلس .

ويعتبر شاعرنا يحيى بن الحكم الغزال أكبر شعراء القرن الثالث الهجري ممن ذاع صيتهم ورويت أشعارهم سواء ما كان ينسج فيه على منوال أبي نواس في الخمريات أم غيرها .

ومن الدلالة على حفظ الناس أشعار الغزال ما جاء في « بغية الملتمس »[1] : « أرسله ـ للغ ـ بعض ملوك بني أمية بالأندلس رسولاً إلى ملك الروم ، وفي ذلك يقول عند ركوبه البحر من قصيدة أنشدنيها أبومحمد علي بن أحمد قال : أنشدني أبو عبد الله محمد بن عمر بن مضاء للغزال :

---

(١) بغية الملتمس في رجال الأندلس ، لأحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة الضبّي (المتوفى سنة ٥٩٩هـ) رقم ١٤٦٧ ـ طبع مجريط Madrid سنة ١٨٨٤م

قال لي يحيى وصرنا بين موج كالجبالِ

إلى آخر القصيدة .

*

وفي معرض الحديث عن ابن حزم (٣٨٤ - ٤٥٦هـ) يقول الدكتور إحسان عباس[١] : « فقد كان يحفظ كثيراً من شعر ابن عبد ربه وابن دراج وصاعد وابن هديل والمصحفي والطليق والغزال وكثير غيرهم . . . »

*

وقد حُكي أن تاجراً يدعى عتبة قال : « وجهني الأمير الحكم وابنه عبد الرحمن إلى المشرق . وكان عبد الله بن طاهر والياً على مصر من قبل المأمون العباسي ، فلقيته بالعراق فسألني عن قصيدة الغزال التي مطلعها :

خَرَجَت إليك وثوبها مقلوب
ولقلبها - طَرَباً إليك - وجيبُ

وعمّا إذا كنتُ أحفظها فقلت نعم . فاستنشدنيها فأنشدته إياها ، فَسُرّ بها وكتبها ونلت بها حظاً عنه .

(١) تاريخ الأدب الأندلسي ، عصر سيادة قرطبة ، ص ٢٥٧

يا للّه ، قصيدة تشغل الناس ، عَجَباً . أليس في ذلك دلالة على شهرتها وشهرة قائلها ؟ فعتبة هذا تاجر لا نعتقد مبدائياً أن له صلة بقرض الشعر أو الاضطلاع بالأدب ، يحفظ قصيدة برمتها للغزال ويرويها لمن يطلبها ، بل ويتناول أجراً عليها ، ناهيك بأن من اهتم بها واستنشده إياها وأكرمه عليها هو رجل من أعظم رجال الدولة أيام المأمون ، عُرف بأنه كان ذا باع طويل في الشؤون الإدارية والعسكرية عنيت به عبدَ الله بن طاهر الذي كان ذا ثقافة وبلاغة ووقار ، وإذاً به يهتم ، وهو في علياء مجده الأدبي والمعنوي ، بقصيدة في المجون للشاعر الغزال . . .

*

ونذكر إلى جانب ذلك أن رواية خروج الغزال من الأندلس إلى المشرق على أثر حادثة هجائه لزرياب ، ولو أنه يشوبها شيء من الاضطراب في النصوص لجهة ما قيل في عدم قبولها ، إلاّ أن في خلاصتها ، سواءٌ صحّت أم لا ، ما يفيد عن انتشار شعر الغزال في المشرق .

فقد جاء في كتاب « تاريخ الأندلس السياسي

والعمراني والاجتماعي »[1]: و« لعله يمر بنا أن يحيى الغزال الشاعر قد أنشد في مصر من شعره لعبد الله ابن طاهر أمير مصر للمأمون » .

وفيما يؤكد ابن دحية في « المطرب » ان الغزال خرج إلى المشرق مدة ثم عاد إلى الأندلس ، وإن خروجه كان بسبب هجائه لزرياب ، فإن الأستاذ إحسان عباس يرد هذا الخبر ويشك فيه[2]. وقد سبق وذكرنا ما ورد في المصادر القديمة عن قصة الغزال مع أهل العراق بشأن قصيدته :

ولما رأيت الشَّرْب أكدت . . . حيث اشتهرت رغم كل شيء .

ويتابع الدكتور الداية قائلاً :

« وقد ذكر الحميدي[3] قصة الأبيات على أنها « كانت في مصر وأن صاحبها سعيد بن أحمد الأندلسي الذي رحل إلى المشرق ، وانه استشهد بأبيات يحيى بن حكم الغزال ، وهذا عندي أمثل » .

---

(١) لعلي محمد حمودة ، ص ٢٠٦/ ٢٣٨

(٢) « مختارات من الشعر الأندلسي ، للدكتور محمد رضوان الداية ص ١٧

(٣) في « المقتبس » .

فمهما يكن من أمر اضطراب الروايات هنا ، فالذي يعنينا هو أن شعر الغزال قد عرف طريقه إلى المشرق وذاع كما سبق له أن اشتهر بالأندلس ذاتها .

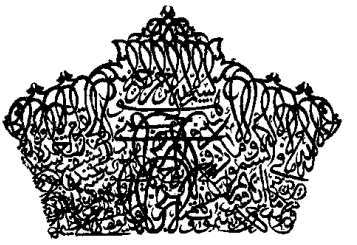

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

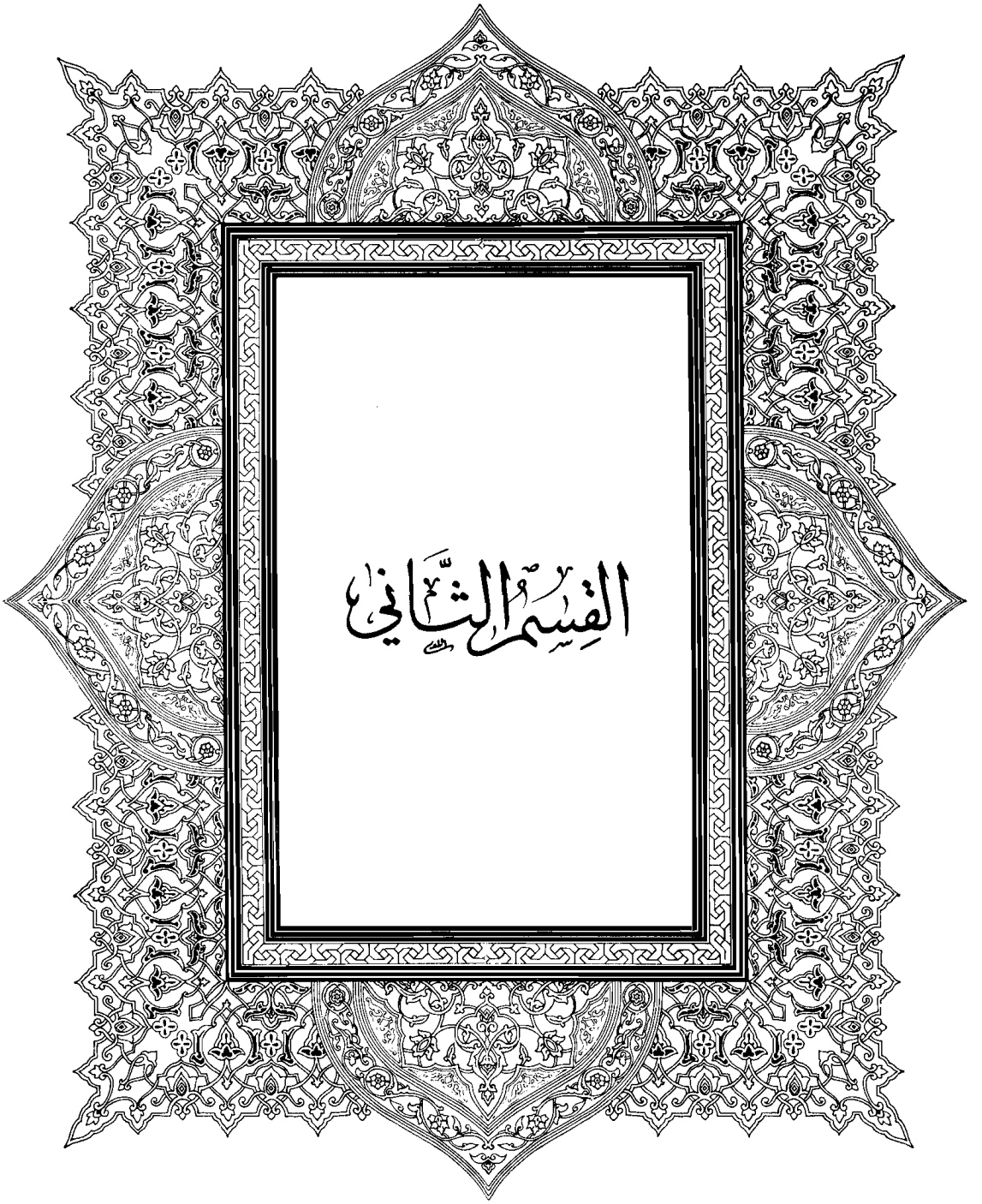

القسم الثاني

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

شخصية الأمير عبد الرحمن الثاني

سنحاول في هذا الجزء من دراستنا التعريف بشخصية الأمير عبد الرحمن الثاني على صعيد علاقاته الخارجية . وما ذلك إلاّ لأننا خصصنا هذا الجزء لقضيتين هامتين حصلتا في زمنه وهما : سفارته إلى ملك القسطنطينية ، وسفارته إلى ملك النورمان اللتان كان للغزال شرف رئاستهما . وقد سبق أن عرّفنا عن شخصية الغزال الشاعر ورجل الدولة الحكيم .

ولقد كان ثمة تفاهم وتجانس بين هاتين الشخصيتين الأمير عبد الرحمن والغزال . فكلاهما شاعر ، وكلاهما ابن محتد ، وكلاهما محب للحياة ، وكلاهما عابد زاهد ، إلى ما جمع بينهما من العناصر وإننا سنعرّف عن الأمير عبد الرحمن ببعض ما ترك المتقدمون من نصوص .

بويع عبد الرحمن للخلافة في شهر ذي الحجة عام ٢٠٦هـ وقضى في الثالث من ربيع الثاني سنة ٢٣٨هـ .

كان حسن الوجه ، أسمر ، طويلاً ، عظيم اللحية ، بهي المنظر ، تلقى تربية دينية وتخرج في علوم الفلسفة وما يليها ، وكان من أهل التلاوة للقرآن الكريم والاستظهار للحديث ، وكان ، كما ذكرنا ، شاعراً مرهفاً وقد اهتم بإبراز شخصية وهيبة الملك كما اهتم بإيجاد ما نسميه في أيامنا بالوزارات في الدولة .

قال عنه ابن عذاري المراكشي[1] :

« . . . كان شاعراً ، أديباً ، [عالماً بعلوم الشريعة وغيرها من علوم الفلسفة] . وكانت له غزوات كثيرة ، وفتوحات في دار العدو شهيرة ، يخرج إليها في العدد الجمّ ، والعسكر الضخم ، يخرّب ديارهم ، وَيُعَفِّي آثارهم ، ويقفل ظاهر الاعتلاء ، قاهر الأعداء . لم يلق المسلمون معه بؤساً ، ولم يروا في مدته يوماً عبوساً . وهو أول من جرى على سنن الخلفاء في الزينة والشكل وترتيب الخدمة . وكسى

(١) في البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب جزء ٢ ص ٩١

الخلافة أبهّة الجلالة ، فشيّد القصور وجلب إليها الماء ، [وبنى الجسور] ، وبنى الرصيف وعمل عليه السقائف وبنى المساجد الجوامع بالأندلس ، وعمل السقاية على الرصيف ، وأحدث الطُّرُز ، واستنبط عملها ، واتخذ السِكّة [ضرب النقود في قرطبة حيث ضرب الدراهم باسمه ولم يكن في الأندلس ذلك منذ فتحها العرب][1] وفخم ملكه ؛ وفي أيامه دخل الأندلس نفيس الوطاء ، وغرائب الأشياء ، وسيق إليه ذلك من بغداد وغيرها »

فلقد خصص « للوزارة » في قصره « بيتاً » أطلق عليه اسم « بيت الوزارة » ونظم أوقات إستقبال الوزراء في كل يوم يستدعيهم معه أو من يختص منهم ـ بالمسألة الهامة أو مسألة الساعة ، أو كان يخاطبهم في رقاع ـ بمذكرات ـ فيما يراه من أمور الدولة .

وقد بلغت البلاد في أيام ولايته مستوى رفيعاً من الحياة الاجتماعية بكل معانيها ، بالإضافة إلى الإصلاحات التي حققها ورعى العلوم والآداب

---

(١) The Coinage of the Umayyads of Spain, George Miles ص ٦٦ ،

والفلسفة فظهر في عهده نوابغ من العلماء في كل فن ، وكان محباً لجمع الكتب القيّمة .

ويقول الرازي : « إن الجباية ، أي دخل الخزينة الخاصة بالأمير فقط ، وليس دخل الدولة العام ، بلغ في أيامه ألف ألف دينار ـ مليون ديناراً ـ وكان يقال لأيّامه العروس !

وكان يكرم العلماء ويحسن إليهم وكثيراً ما كان يخلو بكبير الفقهاء في إمارته القاضي يحيى بن يحيى ويتشاور معه ويعمل بما يرتأيه .

وبالإضافة إلى حبه للفلسفة والفقه ، فقد كان الأمير عبد الرحمن مولعاً بالفلك والتنجيم ، فأحاط نفسه بعلماء الفلك وأغدق عليهم المال والهبات وكان يقسم وقته بين الحرب عند الحاجة والمجتمعات الأدبية والموسيقية والصيد في دولة يسودها النظام والهيبة والتقدم والازدهار .

وهكذا ازدهى بلاطه ووصل إلى درجة لم تُسبق من الإعزاز والفخامة والرونق وسطعت فيه آيات من جمال الأخلاق العربية وظرفها ورقة شمائلها .

وبالرغم من كل هذه المآثر التي كانت له ، وما كان له من شخصية فذّة كمحارب وعالم وفيلسوف

وشاعر وفقيه ، فقد كان عاطفياً تأثّر بأقرب المقربين إليه وهم الرباعي الفقيه يحيى بن يحيى الليثي ، والموسيقي زرياب ، والسلطانة طروب ، والخصي نصر[1]. وطبيعي أن هذا التأثر لم يكن دون إنعكاسات على بلاطه ومجتمعه ودولته .

أ ـ أما الفقيه يحيى وما أدراك ما يحيى بن يحيى الليثي ! فقد كان قوي الشخصية ، جباراً ، ذا باع طويل في مجالات السيطرة . فاستثمر عاطفة الأمير الدينية إلى أقصى حد مما مكّنه من تقوية نفوذه بحيث « جعل القضاة يأتمرون بأمره كالآلة العمياء خيفةً على مناصبهم . وأمّا من عارضه واتبع ضميره فكان جزاؤه الطرد » .

« وإنما كثر القضاة في أيامه ـ أي أيام الأمير عبد الرحمن ـ لأن المشاوَر في عزلهم وولايتهم يحيى بن يحيى الليثي ؛ فكان لا يولّي رجلاً إلاّ برأيه ، فكان يحيى بن يحيى إذا أنكر من القاضي شيئاً قال له : استعفِ وإلاّ رفعت بذلك» ، فكان يستعفى أو يشير يحيى بعزله ، فيُعزل »[2] .

---

(١) ـ الدولة الأموية في قرطبة ، أنيس نصولي، بغداد، جزء ١، ص ٦٧/ ٦٨ ـ ـ تاريخ العرب، فيليب حتي، جزء ٢ ص ٦١١ وما يليها.

(٢) البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، جزء ٢ ، ص/ ٨٠

ومما يروى عن جبروته ونفوذه على أعلى مقام في الدولة قصته مع سميّه القاضي يحيى بن معمر. فقد كان هذا ورعاً، زاهداً، فاضلاً، قليل المبالاة بالعتب في سبيل الحق. وكان قليل الرضى عن طلبة قرطبة، شديد التقضّي عليهم، لا يلين لهم في شيء مما يريدون، ولا يصغي إليهم، فنفروا عنه. ونشأت بينه وبين يحيى بن يحيى لأجل ذلك عداوة؛ فسعى في عزله عند الأمير، وأقام عليه بما زعمه الشهود: فعزله. ولما احتضر ابن معمر وهو في اشبيلية قال لمولى له على ما حكاه الزاهد ابن سعيد: «أقسمت عليك، إذا أنا متُّ، إلاَّ ما ذهبتَ إلى قرطبة؛ فقف بيحيى بن يحيى وقل له: «يقول لك ابن معمر؛» «وَسَيَعْلَمُ الَّذين ظَلَمُوا أيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ»[1]. ففعل ذلك مولاه لما مات سيده، وبلّغ يحيى ما تقرّعه به. فبكى وقال: «إنّا لِلّه وإنّا إليْه راجعُونَ! ما أظن الرجل إلا خدعْنا فيه» ثم ترحم عليه، واستغفر له[2].

ب ـ وأمّا الموسيقي فهو زرياب ـ أو زرئاب ـ أبو

---

(١) قرآن كريم آية ٢٢٧ من سورة الشعراء ٢٦

(٢) تاريخ قضاة الأندلس للنُباهي المالقي الأندلس. المكتب التجاري ـ بيروت ـ طبعة أولى ص ٤٤/ ٤٥

الحسن علي بن نافع ـ الذي قدم من بغداد إلى قرطبة فرحّب به الأمير عبد الرحمن أيما ترحيب وخصّه بأعلى المراتب . وكان فناناً حافظاً لآلاف المقطوعات والألحان الموسيقية ، متضلعاً بعلوم الجغرافيا ، وكان بارعاً في الابتكار وشخصيته ذات قوة معنوية . وقد اجتهد في تكوين مدرسة موسيقية في الأندلس مستعيناً بذلك بأبنائه وبناته وجاريته « متعة » ! وقد أوجد ثورة إجتماعية بالأندلس في العادات والثياب وقص الشعور وتزيّن المرأة واستعمال الآنية الزجاجية وتفضيلها على الأواني الذهبية والفضية ، وأدخل ألواناً من المأكولات ، وزاد على عدد أوتار العود عوداً ، واتخذ مضربه من قوادم النسر ، وطوّر في الألحان ، واشتهر ، وهوت إليه القلوب بحيث أصبحت مدرسته هي المدرسة الأندلسية التقليدية ، على الرغم مما كان يلقى من سخرية يحيى بن الحكم الغزال وتعريض ابن عبد ربه . . بسبب نفوذه في بلاط الأمير وسيطرته على الأمير وحجبه غيره عنه .

ج و د وأما زوجة الأمير « السلطانة » طروب ، وأما الخصي نصر ، فقد اشتُهرا بالحيلة والمكر وقد أثّرا على الأمير من حيث تدخلهما بشؤون السياسة والحكم والطمح للمال ، على عكس زرياب الذي

انتهج خطة عدم التدخل بشؤون الدولة أو انتقاد الحكام والولاة .

*

ومن أبرز المباديء التي اختطها الأمير عبد الرحمن كان التسامح الديني المبني على الأخلاق السامية والأخوة الشاملة . ففي عهده ، كما في عهد أسلافه من الأمراء الأمويين ، عرف الأندلسيون على اختلاف عقائدهم من مسلمين ومسيحيين ويهود الحرية التامة في إقامة شعائر العبادة والتزام تقاليدهم المتوارثة ؛ ومن دلائل هذا التسامح أن كان المسيحيون يحاربون جنباً إلى جنب مع المسلمين ضد أعداء البلاد ، وكانوا يُعيَّنون في أرقى المناصب الإدارية والحربية والسياسية .

في هذا الجو العابق بنسيم الحرية الطيب والسعادة والإطمئنان ، كان شاعرنا الغزال مقدَّماً على غيره في البلاط ولو كانت له قصص مع زرياب بحيث أدت إحداها إلى أن أمر الأمير بنفيه . إلاَّ أن الأمير كان يعرف قيمة الغزال ، ولو كان يتأثر بالرباعي يحيى وزرياب وطروب ونصر ، فكان موضع ثقته في كل حال لما يتمتع به من خبرة وكفآت إدارية وسياسية بوجه خاص .

وقد دخل الغزال يوماً على الأمير عبد الرحمن ، وكان حينئذ قد جاوز السبعين من عمره ، فهش له الأمير محيياً ومرحباً بقوله:

جاء الغزال بحسنه وجماله . .

وقد اعتبر بعض الرواة أن لقب الشاعر يحيى بن الحكم بالغزال إنما أعطيه من قبل الأمير عبد الرحمن ، لكننا لا ندري في أيّ سنٍّ كان عند ذاك .

وكان في مجلس الأمير وزيره فقال للغزال : أجز ما بدأ به الأمير ، فارتجل الغزال لفوره قصيدة طويلة منها هذه الأبيات :

قال الأميرُ مداعباً بمقالِهِ
جاء الغزالُ بحسنِهِ وجمالِهِ
أين الجمالُ من امرىءٍ أرْبى على
متعدّد السبعين من أحوالِهِ
أين الجمالُ له، الجمالُ من امرىءٍ
ألقاهُ ريبُ الدهرِ في أغلالِهِ ؟
وأعادَهُ من بَعد جدَّتِهِ بِلىَ
وأحَالَ رونَقَ وجْهِهِ عن حالِهِ ؟

*

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

نظرة عابرة في الدبلوماسية الاسلامية في القرون الوسطى

نطرق في هذا الفصل باب العلاقات الخارجية بين الأمير عبد الرحمن والعالم الأوروبي ، وذلك من خلال سفارتين مهمتين بعث بهما إلى القسطنطينية وبلاد النورمان. وبعد أن تحدثنا عن شخصية هذا الأمير نضيف هنا أنه في علاقاته الخارجية كان نافذ الهيبة مسموع الرأي يعرفه معاصروه من الملوك والرؤساء الذين بادلوه البعثات السياسية ووقفوا منها على أخبار الأندلس وعظمة أميرها وقوة شعبها ودقة تنظيمها فضلاً عن غناها ومواردها .

وقد كانت السفارات كثيرة بين قرطبة ومختلف بلدان العالم القديم ، منها ما وصلتنا أخباره عن طريق المؤرخين ومنها ما لم تصل لفقدانه . وقد ترك

لنا المؤرخون تفاصيل مدهشة عن الاحتفالات باستقبال الوفود الأجنبية ومواكبهم وأصول المقابلات التي بلغت مستوى رفيعاً فاق نظيره في غيره من الدول كما كان يُعترف للوفود الدبلوماسية بالحقوق والحصانات ويُكرمون كل تكريم ، وتقدم لهم الهدايا ، الخ . . مما توجبه اللياقة والضيافة العربية الإسلامية ولنا أن نفخر بهذا التراث النبيل .

وكانت المصالح السياسية والقومية والاقتصادية في القرن الثالث الهجري ، التاسع الميلادي ، تملي على زعماء البلاد ، كما هو الحال في كل زمان ومكان ، البحث عن عقد المحالفات والدخول بالمعاهدات للتمكن من مجابهة المواقف والأوضاع الدولية والداخلية على السواء .

وقد حفظ لنا التاريخ أخبار سفارات انتدبت لهذه الغايات ومنها مثلاً السفارة بين شارلومان[1] أمبراطور فرنسا « أمبراطور الفرنجة » ، وبين هارون الرشيد ، إذ حضّ كل منهما صاحبه على أن يقوّض دعائم الدولة المجاورة له فيغير الرشيد على الدولة البيزنطية كما يغير شارلومان على جيرانه الأمويين . وطبيعي أنه

---

(١) Charlemagne

لم يحصل شيء من ذلك سوى ما حمله سفراء الفريقين من عبارات التبجيل وتبادل الهدايا النفيسة .

ونضيف إلى ذلك أن التوازن الدولي كان يحتم في ذلك الحين قيام سفارات إسلامية من قرطبة إلى العواصم الأوروبية بغية توثيق الروابط السياسية والعلمية والاجتماعية بين الدولة الأموية في الأندلس ودولتي المسيحية في القسطنطينية وإكس لاشابل ، ثم بين الأندلس وجماعة النورمان في بحر الشمال ، تلك الجماعة التي بدأت تظهر كقوة جديدة في ذلك الحين وستتحدث عنها في فصل آخر .

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

سفارة أمبراطور الروم
لدى
الأمير عبد الرحمن

انطلاقاً من مبدأ تحقيق مقتضيات المصالح السياسية ، وجّه ملك الروم (أمبراطور القسطنطينية) تيوفيلوس[1] في سنة ٢٢٥هـ / ٨٣٦م بعثة دبلوماسية برئاسة سفيره الحصيف قراطيوس Kartyius أو Kratiys إلى أمير الأندلس عبد الرحمن الثاني ، حاملاً الدعوة إلى العاهل المسلم ، لعقد محالفة معه ضد المأمون والمعتصم . وقد حث تيوفيلوس في هذه الرسالة الأمير عبد الرحمن على استرجاع ملك أجداده الأمويين في دمشق بموآزرته .

ولا شك أن هذا الحدث السياسي كان له صدى

---

(١) وفي بعض المراجع أن الأمبراطور وزوجه تيودورا Théodora وجّها السفارة إلى الأمير عبد الرحمن .

عظيم في قرطبة . وكان السبب الرئيسي لهذه الدعوة تذمر الملك تيوفيلوس مما لقيته بيزنطية في حرب العباسيين على يد المأمون وأخيه المعتصم . وبما أنه غير قادر على مجابهة هذه الحرب ، فقد فكر بأن يستنجد بأمير الأندلس الأموي ويحضّه على الهجوم على العباسيين بحيث مهما تكن النتيجة فالحرب سوف تشغل رجال بغداد عنه في إنهاكهم بجبهة جديدة هي محاربةُ عبد الرحمن .

*

استقبل أمير الأندلس وفد ملك الروم بالحفاوة العربية الإسلامية المعروفة وبما تقتضيه الأصول من مراسم فخمة في مستوى الإمارة الإسلامية العظيمة، وتسلّم الرسالة التي حملها قراطيوس من سيّده والهدايا المرفقة بها . .

ولما وقف على فحواها لم يُبْدِ اهتماماً بالغاً بها علماً منه بالأسباب التي أملتها على تيوفيلوس . ولكن هذا الموقف يستحق ، من مستلزمات اللياقة والكياسة ، أن يجيب الملك على رسالته بما يليق بمقامه ، فقرر إيفاد وفد من قبله لدى الملك تيوفيلوس يحمل له رسالته الجوابية .

ولم يكن الأمير عبد الرحمن بحاجة إلى كثير من أعمال الفكر لاختيار سفيره إلى مملكة الروم . ذلك بأن الذي سيكلف بهذه المهمة موجود في بلاطه . إنه شاعره الحكيم يحيى بن الحكم الغزال صاحب الملكات العديدة التي تؤهله لها ، وكان حينئذ قد تجاوز الخمسين[1] بقليل مع احتفاظه بنشاطه فاختاره لهذه السفارة وحمّله مع الرسالة الجوابية مجموعةً من الهدايا القيمة الفخمة إلى الملك تيوفيل .

*

(١) تقول بعض المصادر « وكان الغزال قد أوغل في الشيخوخة إذ كان قد جاوز السبعين » ؟

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

سفارة الأمير عبد الرحمن إلى ملك الروم

سافر الوفد الأندلسي بصحبة الوفد البيزنطي فوصل بلاد الروم وقابل الملك تيوفيلوس حيث قدم له الغزال رسالة أميره. وانتهى الأمر بين العاهلين إلى هذا الحد من تبادل الرسالتين، ومن ثم أحكمت العلاقات الودية بين البلدين وقامت على الاحترام المتبادل، بل وعلى مزيد من احترام العباسيين منافسي عبد الرحمن له[1].

وهكذا كان الغزال سفير سلام لا حرب فأنجز مهمته على أكمل وجه ودام غيابه عدة أشهر.

ولقد أورد المقّري[2] ما حكاه ابن حيان في

(١) نفح الطيب، ١/ ٣٤٦
(٢) نفح الطيب، ٧/ ٣٧١ ـ ٣٧٢

« المقتبس » حول هذه السفارة فقال :

« وحكى ابن حيان في المقتبس أن الأمير عبد الرحمن بن الحكم المرواني وجّه شاعره الغزال إلى ملك الروم ، فأعجبه حديثه ، وخفّ على قلبه ، وطلب منه أن ينادمه ، فامتنع من ذلك ، واعتذر بتحريم الخمر . وكان يوماً جالساً عنده ، وإذا بزوجة الملك قد خرجت وعليها زينتها ، وهي كالشمس الطالعة حسناً فجعل الغزالُ لا يميلُ طَرْفَهُ عنها وجعل الملك يحدثه وهو لاهٍ عن حديثه ، فأنكر ذلك عليه ، وأمر الترجمان بسؤاله ، فقال له : عَرّفه أني قد بهرني من حُسْن هذه الملكة ما قطعني عن حديثه ، فإني لم أر قط مثلها ـ وأخذ في وصفها ، والتعجب من جمالها وإنها شوّقَتْه إلى الحور العين ـ فلما ذكر التَّرْجُمان ذلك للملك تزايدت حُظوته عنده ، وسُرّت الملكة بقوله ، وأمرت التّرجمان أن يسأله عن السبب الذي دعا المسلمين إلى الختان وتجشُّم المكروه فيه وتغيير خلق الله مع خُلُوه من الفائدة ، فقال للترجمان : عرّفها أن فيه أكبرَ فائدة ، وذلك أن الغصن إذا زُبِرَ (أي قطع) قَوِيَ واشتدّ وغَلُظ ، وما دام لا يُفعل به ذلك لا يزال رقيقاً ضعيفاً ، فضحكت ، وفطنت لتعريضه » .

وأورد الأستاذ الدكتور حكمة علي الأوسي[1] ومحمد خليفة التونسي[2] عن ليفي بروفنسال[3] قوله « إن الغزال كان في مرة أخرى في حضرة الأمبراطور ، وطلب ماءً ليشرب فاحضروا له كأساً من الذهب المزدان بالأحجار الكريمة فلما شرب وارتوى سكب الماء الذي بقي في الكأس على الأرض وأخفى الكأس في كمّ عباءته ، ورأى الأمبراطور في ذلك ما لا يليق وصرح به على لسان ترجمانه فكان رد الغزال عليه : إن أمراءنا الذين تبغون صداقتهم قد اعتادوا عندما يطلب أحد السفراء أن يشرب في حضرتهم أن يطلبوا له كأساً ثمينةً يمكنه الاحتفاظ بها بعد شربه منها . فإذا كانت عادة سادتي هذه غير متبعة لديكم فإني مستعد لإعادة كأسكم إليكم . وهمّ السفير بإخراجها من كمه إلا أن توفلس بادر فأشار إليه بالاحتفاظ بها » .

*

(١) مجلة المجمع العلمي العراقي ، مجلد ٢١ (١٣٩١هـ - ١٩٧١م) ، ص ٢٠٤
(٢) العربي ، عدد ٢١٢ ، رجب ١٣٩٦هـ / يوليو ١٩٧٦ ، ص ١٣٤
(٣) الإسلام في المغرب والأندلس ، ص ١٠٦ - ١٠٧

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رسالة الأمير عبد الرحمن الثاني
إلى
تيوفيلوس إمبراطور القسطنطينية

نظراً لأهمية هذه السفارة ، وإظهاراً لمدى براعة الغزال في مهمته الدقيقة ، فإننا نثبت فيما يلي نص الرسالة الجوابية التي حملها سفير الأمير عبد الرحمن بن الحكم إلى الإمبراطور تيوفيلوس ملك الروم . ويستدل من مقدمتها الطويلة على ما انطوت عليه رسالة تيوفيلوس إلى أمير الأندلس .

*

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد ، فقد بلغني كتابك ، تذكر فيه الذي كان عليه من مضى منكم لأوّلينا من المودة الصادقة ، وأنه قد دعاك ذلك إلى مكاتبتنا ، وإرسال قرطيوس رسولك إلينا لتجديد تلك المودة ، وترتيب تلك المصادقة ، وتسأل أن ينعقد فيما بيننا وبينك من ذلك ما نتمسك به ، ونتواصل له ، ونبعث رسلاً من عندنا إليك ، ليعلموك بالذي نحن عليه من الرغبة فيما حضضت عليه ، ودعوت إليه ، لتثبت بقدومهم عليك مودتنا ، وتتم به صداقتنا .

وفهمنا ما ذكرته من أمر الخليفة مروان رضي الله عنه وصلى عليه ، ومن وشائج قرابتنا منه ، وآسيت لما استلب من سلطانه ، واستُبيح من حُرمه ، واستحل من دمه ، وما كان من الفاجر أبي جعفر

تربَه الله ، وجرأته على الله ، واغتراره به ، وانتهاكه لمحارمه ، والله قد أحصى عليه ذلك ، فآسفه منه ، فهو لا محالة يجازيه جزاء سعيه .

ثم الذي ذكرته من فعل الخبيثين ابن مراجل وابن ماردة أخيه بعده ، من إلحادهما في نحلتهما ، وإساءتهما لسيرتهما ، ورغبتهما في رعيتهما ، وشدة وطأتهما عليهم ، واستحلالهما دماءهم وأموالهم ، وما ذكرت من حضور وقت زوال دولتهم وانقطاع مدة سلطانهم ، وتأذن الله برد دولتنا ، وسلطان آبائنا ، الذين نبأت عنهم الكتب ونطقت بهم الرسل ، وأوجب لهم الإجماع ، وحازه إليهم البرهان ، والذي حضضت عليه من الخروج اليهم ، وطلب الثأر منهم ، ووعدته من نصرتك لنا ، بما ينصر الصديق صديقه ، ومن يعلم هواه فيه ومودته له ، وما عطفت عليه من أمر أبي حفص ، ومن معه من جالية بلدنا ، وغلبتهم على ما غلبوا عليه من بلدك ، وخضوعهم لابن ماردة ودخولهم في طاعته ، وما سألت من أهل الاذكار لذلك والانفة منه ، وحكيت من أمراء إفريقية في نزعهم عن ابن ماردة ، وخلافهم عليه ، واستثقالهم لدولته . وكل ما حكيت من ذلك وقصصته في كتابك ، فقد قرأناه وفهمناه .

وأما ما رغبت من مودتنا ، وأحببته من مصادقتنا ، وأردت تجديده وتوصيله والتمسك به وتوثيقه ، مما كان عليه أولوك لأولينا ، فقد رغبنا منك في مثل الذي ذكرته من حرصك على مواصلتنا . وأن نتمسك من ذلك ، بما كان عليه سلفنا ، وما لم يزل من كان قبلنا من الملوك يتمسكون به ، ويتحاضون عليه ، ويحفظه بعض لبعض ، ويشدون أيديهم به .

وأما ما ذكرت من أمر الخليفة مروان بن محمد رحمه الله ، فإن الله تعالى أحب أن يكرمه ، بما انتُهك من حرمته ، ونُكث من بيعته ، ويسوقه إلى رحمته ، وأن يشقى بذلك من ركبه منه ، ويجزيه ويعذبه عليه .

وأما ما كان عليه الفاجر أبو جعفر في تعذيبه العباد ، وظلمه وجرأته على الله ، وانتهاكه لمحارمه ، فإن الله قد أخذه بذنبه ، واستدركه ببغيه ، وصيره من عذابه ونكاله ، إلى ما لا انقطاع له ، ولا تخلص منه ، جزاء بما اجترح ، وكذلك حكم الله في أهل معصيته ، وأولى الاجتراء والافتراء عليه .

وأما ما ذكرت من أمر الخبيث ابن ماردة ، وحضضت عليه من الخروج إلى ما قلته وذكرته من

تقارب انقطاع دولته ودولة أهله ، وزوال سلطانهم ، وما حضر من وقت رجوع دولتنا ، وأزف من حين ارتجاع سلطاننا ، فإننا نرجو في ذلك عادة الله عندنا ، ونستنجز موعوده إيانا ، ونمتري حسن بلائه لدينا بما جمع لنا من طاعة مَن قبلنا ، من أهل شأمنا وأندلسنا وأجنادنا وكورنا وثغورنا ، وما لم نزل نسمع ونعترف ، أن النقمة تنزل بهم والدائرة تحل عليهم من أهل المغرب بنا وعلى أيدينا ، فيقطع الله دابرهم ، ويستأصل شأفتهم إن شاء الله تعالى .

وأما ما ذكرت من أمر أبي حفص الأندلسي ، ومن صار معه من أهل بلدنا ، في خضوعهم لابن ماردة ، ودخولهم في طاعته وما سألت من النظر في أمورهم ، والإنكار لفعلهم ، فإنه لم ينزع إليه منهم إلا سِفْلتهم وسوادهم وفسقتهم وأُبّاقهم ، وليسوا في بلدنا ولا برتبتنا فنغير عليهم ، ونكفيك مؤنتهم ، وإنما اضطروا إلى الدخول في طاعة ابن ماردة ، لمأمنهم من بلاده ، ودنو ناحيتهم من ناحيته ، ولم نكن نحسبك تعجز عنهم ، ولا تصعب عن نكايتهم ، ولا تتوقف عن إخراجهم عمّا تطرّقوه من بلدك ، وإذ ترى مكانهم به من موضعك وإن الله بحوله وقوته وفضله ومَنّه ردّ إلينا سلطاننا بالمشرق وما كان تحت أيدي آبائنا منه نظرنا في ذلك بما فيه

صلاح لنا ولك ، واستقامة لطاعتنا وطاعتك ، وَعَرفنَا الـذي يكون من معونتـك على ما دعـوتَ إليه ، وحضضـت عليه بمـا يعرفـه الصـديق لصديقـه ، وذو المودة لأهل مودته ، ولـم يضـع لك عندنـا ما رعيتـه من حقنا وقمت فيه من حفظنا .

وقد أدخلنا رسولك قرطيوس علينا ، وكشفنـاه على الذي أوصيتَ به إلينا ، وعـن كل ما يجـب لصـديق أن يعرفه من حال صديقه ، ووجهنا إليك بكتابنـا هذا رسولَـين من صالحـي من قبلنـا ، فاكتـب إلينـا معهما بالذي أنـت عليه من الأمـر الـذي كتبـت به إلينـا ، والذي يجب عليك من سائر خـيرك ، ومتعـة عافيتـك لننظر فيما يتصرفان به من عندك على حسـب ما يأتينـا به من عندك إن شاء الله » .

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

هل من سفارة للغزال إلى « بلاد النورمان » ؟

بعد أن عرضنا الظروف التي أدّت إلى تكليف الشاعر الغزال بالسفارة بين الأمير عبد الرحمن الأندلسي والملك تيوفيلوس ، ونظراً لما قيل ويقال عن سفارة ثانية قام الغزال بمهمتها إلى « بلاد النورمان » لدى « ملك المجوس » ، وعلى الرغم من أن تفصيل وقائع هذه السفارة الثانية لا يلقي مجالاً للشك ، في إعتقادنا ، من أن هذه السفارة حصلت ، فإننا مع ذلك نسمح لأنفسنا بأن نتساءل عمّا إذا كان ثمة سفارة لتلك الأصقاع ، وما هي أسبابها ، وكيف تمت ، سيما وإن المستشرق ليفي بروفنسال قد حتّم بأن لا وجود لهذه السفارة إلاّ في المخيلة الشعبية ، وتبعه في ذلك « المستشرق » هويسي ميراندا[1] الذي

(١) الموسوعة الإسلامية ، مجلد ٢ ، صفحة ١٠٦٢

نقل رأي ليفي بروفنسال حرفياً وثبته ، مع الأسف ، في الموسوعة الإسلامية التي تصدرها مؤسسة بريل Brill في ليدن ـ هولندا .

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الإشارة إلى سفارة الغـزال إلى بلاد النورمـان في بعض المراجع

لدى تحقيقنا الأخبار المتوفرة عن سفارة الغـزال إلى بلاد النورمان ، لفـت نظرنـا أن بعض المراجـع تشـير إليها صراحة ، والبعض الآخر لا يشير إليهـا ويكتفـي بذكر سفارته إلى مملكة الروم .

ففـي « الموسوعـة العـربية »[1] نقـرأ عن يحيى بن الحكم الجياني الغـزال « أنـه شاعـر وسياسي أنـدلسي أوفـده الخليفـة الأمـوي عبـد الرحمـن الثانـي (٨٣٩ - ٨٤٠) بمهمـة إلى تيوفيليس أمبراطـور بيزنـطية ، ثم بعثـه على رأس سفـارة إلى ملك النورمـان حيث التقى بعلمائهم وناقش ملكتهم وعاد موفقاً » .

---

(١) صفحة ١٢٥٤

- وفي « الاعلام »[1] للزركلي: « كان الغزال جليل القدر مقرباً من أمراء الأندلس وملوكها من بني أمية ، أرسله بعضهم رسولاً إلى ملك الروم »

- وكذلك وردت بالحرف الواحد في « معجم المؤلفين »[2]

- وفي « قافلة الزيت » يقول الغزالي حرب : « يحيى بن حكم الملقب بالغزال الذي اختاره الخليفة الأموي الأندلسي عبد الرحمن الثاني عام ٨٣٩ ، شاعراً له ثم سفيراً دبلوماسياً بينه وبين ملك النورمان » وهو اسم أطلقه العرب القدامى على أبناء الجزر البريطانية ، وذلك بعد أن نجح في سفارته السياسية لدى بلاط تيوفيلس أمبراطور بيزنطية » .

- وفي « تاريخ الأدب العربي »[3] نقرأ : « يحيى بن الحكم الغزال شاعر الأمير عبد الرحمن الثاني . وأرسله في السفارة عنه مراراً إلى أمراء أوروبة . فقدم مثلاً سنة ٨٤٤ أو سنة ٨٤٥ إلى أحد

---

(١) جزء ١٣ - ص ١٩٣

(٢) لعمر كحالة

(٣) بروكلمان ، ترجمة النجار ، جزء ٢ ، ص ١٠٤

أمـراء النورمـان في بعض جزائـر الدانمـرك ، وفي عودته أقام شهرين في شنت يعقوب Santiago من بلاد غاليسيا » ومما يلفت النظر هنا ذلك التحديد من قبل بروكلمان إذ قال « في بعض جزائر الدانمرك » .

- وفي تاريخ الفكر الأندلسي[1]: « وكان الغزال رجلاً حكيماً أرسله عبد الرحمن الأوسط في سفارة لبلاط ملك النرمانيين » .

- وفي « قضايا أندلسية »[2] « واختاره (ليحيى الغزال) الأمير عبد الرحمن الأوسط ليكون سفيراً إلى ملك المجوس ، فركب البحر ، ولكنه هاج ، وعصفت بهم ريح شديدة . . . الخ . . . »

- وفي « مختارات من الشعر الأندلسي[3]: « خدم الغزال عند الأمراء ، وسفر للأمير عبد الرحمن الأوسط إلى بيزنطية (القسطنطينية) وإلى بلاد المجوس (النورمان)

- ولدى ابن دحية[4] : « أمر (الأمير عبد الرحمن)

---

(١) لغونزالس بلانسيا ، ترجمة حسين مؤنس ، ص ٥٥
(٢) للدكتور بدير متولي أحمد ، ص ٣٢
(٣) للدكتور محمد رضوان الداية ، ص ١٧
(٤) في « المطرب »

الغزال أن يمشي في رسالته مع رسل ملكهم (ملك المجوس)

ـ وفي « نفح الطيب » ما جاء حرفياً في تقرير ابن دحية الذي سيرد ذكره فيما بعد .

أسباب سفارة الغزال إلى بلاد النورمان

كان النورمانيون ـ الفيكنغ ـ قد شنوا حرباً على الأندلس حيث أعملوا في بعض بلدانها نهباً وتخريباً وقتلاً . وسنرى كيف ترك لنا المؤرخون وصف غاراتهم وفظائعهم .

وبسبب اندحارهم أمام القوة الأندلسية الإسلامية التي أثبتت أنها قوة لِدولة محترمة متينة الأركان ، يُخشى بأسها ، فكّر ملك النورمان بعقد محالفة ودّ وصداقة مع الأمير عبد الرحمن فوجّه سفارة بهذه المهمة إلى بلاط الأمير .

وبعد الوقوف على رغبة ملك النورمان ارتأى الأمير عبد الرحمن أن يوجّه له سفارة رداً على سفارته ، فاختار يحيى بن الحكم الغزال لها وهو سفيره الناجح

الأسبق في بلاط ملك الروم

وقبل أن نتحدث عن تفاصيل هذه السفارة سنتعرف قليلاً على جماعة المجوس ـ الفيكنغ ـ

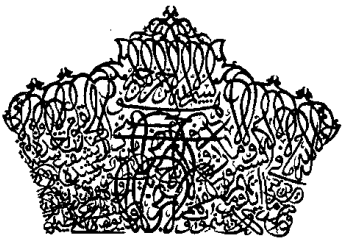

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

ماذا تقول المصادر في التعريف عن الفيكنغ ؟

يُعرَّف الفيكنغ بأنهم محاربون من بلاد اسكندينافيا بأوروبا الشمالية[1] كان دأبهم الغزو فغزوا سواحل أوروبا والجزر البريطانية . ولعل الأسباب الرئيسية لهذه الأعمال هي كثافة السكان وقلة الموارد ؟؟ ـ وقد استمرت غزواتهم وما رافقها من أعمال نهب وسلب وقتل طيلة قرنين ، بين القرن الثامن والعاشر للميلاد ـ وهم يعتبرون من أمهر بحّارة العالم لما لديهم من خبرة في صنع المراكب وقطع الأخشاب وتجميعها بآلات نقول عنها اليوم « بدائية » ؛ وكان باستطاعتهم أن يجابهوا عواصف الاطلنطي بمراكبهم الطويلة ذات الأشرعة السوداء أو الحمراء والمجاذيف

(١) Les Grands tournants de l'histoire II - 100
ـ الموسوعة الميسرة

الخفيفة كما كانت لهم قوارب مدببة الجانبين ، سريعة الحركة .

ويتحدث الدكتور عبد الرحمن الحجي[1] عن توزيعهم في بلدان أوروبا الشمالية فيقول : « إن سكان البلاد الاسكندينافية ينقسمون إلى ثلاثة شعوب هم : الدانمركيون والنرويجيون والسويديون ، واتجه كل منهم في نشاطه الحربي والتجاري وجهة معينة . فالسويديون إلى شرقي أوروبا ، والنرويجيون إلى سواحل انجلترا الشرقية كما احتلوا جزيرة إرلندا . أما الدانمركيون فهاجموا فرنسا وإسبانيا الشمالية ثم الأندلس ، وهم الذين احتلوا منطقة في شمال فرنسا والتي لا زالت حتى اليوم تحمل إسمهم « نورماندي Normandy-Normandie ويكاد يكون من المؤكد تماماً أن الدانمركيين هم الذين هاجموا الأندلس وأنهم جاؤا من الدانمرك نفسها . ولم يكن الهجوم من قبل النرويجيين في إرلندا أو من النرويج ، كما يقول البعض ، والأدلة التي تقف ضد هذا الرأي الثاني كثيرة . وما دام المهاجمون هم الدانمركيون فتبعاً لذلك فإن السفارة النورمانية التي حضرت إلى بلاط الأمير عبد الرحمن جاءت من الدانمرك Denmark لا من

---

(١) أندلسيات ، دارالارشاد، بيروت ١٣٨٨/ ١٩٦٩

النروجيين »

جاء في كتاب « حضارة العرب في الأندلس »[1]: « أن النورمان إسم أطلقه العرب القدامى على أبناء الجزر البريطانية كما عنوا بـ « بلاد المجوس » (أسوج ونروج) .

ويقول برنارد لويس[2]: « نجد في المؤلفات الإسلامية أن بلدان أوروبا الشمالية يطلق عليها طوراً بريطانيا ، وأحياناً إيرلندا ، حتى وعلى جزء من البلدان السكاندينافية » .

وعرَّف العرب عن النورمان بالمجوس أو بالأردومانيون !

*

وقد نُشر عن الفيكنغ عبر التاريخ القديم والحديث عدة دراسات معظمها يقول أن الفيكنغ برابرة ، نهابون ، متوحشون ، قتلة ، وبعضهم ، وهو النزر اليسير، يقول أن الفيكنغ من كبار التجار والفنانين المهرة المتقدمين على الحضارة المسيحية وأنهم أميون ،

---

(١) لعبد الرحمن البرقوقي ، ١٩٢٣

(٢) Bernard Lewis مجلة الدراسات الشرقية والإفريقية ، جامعة لندن ، ص ٤١٢

لكنهم تركوا عبر أساطيرهم وقصائدهم ـ التي يطلق عليها اسم الساغا Saga ـ ما يدل على فكر واسع خلاّق . . .

ومما يستلفت النظر أن ثمة محاولة حديثة من رؤساء البلدان السكاندينافية الحاليين لإظهار الفيكنغ في مظهر حضاري . فقد تألفت لجنة[1] قوامها الأمير شارل البريطاني ، وملكة الدانمرك مارغريت ، وملك السويد كارل غوستاف ، ووريث العرش النروجي هارالد ، ورئيس جمهورية إيسلاندا ، كريستيان الدجارن لتشرف على عملية تنقيبات أثرية واسعة النطاق يؤكد العلماء العاملون فيها أن من نتائجها ما يدل على أن الفيكنغ كانوا تجاراً وفنانين فيما كان يقال عنهم أنهم نهابون وقتلة .

*

---

(١) جريدة لوريان تاريخ ٢٠ شباط (فبراير) ١٩٧٨ L'Orient - Le Jour

- Le Prince Charles d'Angleterre
- Margaret, la reine du Danemark
- le roi Karl Gustav de Suède
- le prince héritier Harald de Norvège et le Président Kristjan Eldjarn d'Islande.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

هجوم الفيكنغ ـ المجوس ـ على بلاد الأندلس

ذكر ابن الأثير[1] في معرض الحديث عن أخبار سنة ٢٣٠هـ في الأندلس تحت عنوان : « ذكر خروج المشركين إلى بلاد المسلمين بالأندلس » ما يلي :

« في هذه السنة خرج المجوس من أقاصي بلاد الأندلس في البحر إلى بلاد المسلمين ، وكان ظهورهم في ذي الحجة سنة تسع وعشرين عند اشبونة فأقاموا ثلاثة عشر يوماً بينهم وبين المسلمين بها وقائع ، ثم ساروا إلى قادس ثم إلى شدونة فكان بينهم وبين المسلمين بها وقائع ، ثم ساروا إلى إشبيلية ثامن المحرم فنزلوا على إثني عشر فرسخاً منها فخرج إليهم كثير من المسلمين فالتقوا فانهزم المسلمون ثاني عشر المحرم وقتل كثير منهم ، ثم نزلوا على ميلين من

(١) « الكامل » لابن الأثير ، المجلد الخامس ، طبعة ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م صفحة ٢٧٢

إشبيلية فخرج أهلها إليهم وقاتلوهم فانهزم المسلمون رابع عشر المحرم وكثر القتل والأسر فيهم ولم ترفع المجوس السيف عن أحد ولا عن دابة. ودخلوا حاجر اشبيلية وأقاموا به يوماً وليلة وعادوا إلى مراكبهم، وأقاموا عسكر عبد الرحمن صاحب البلاد مع عدة من القواد فتبادر إليهم المجوس فثبت المسلمون وقاتلوهم فقتل من المشركين سبعون رجلاً وانهزموا حتى دخلوا مراكبهم وأحجم المسلمون عنهم، فسمع عبد الرحمن فسيّر جيشاً آخر غيرهم فقاتلوا المجوس قتالاً شديداً فرجع المجوس عنهم، فتبعهم العسكر ثاني ربيع الأول وقاتلوهم وأتاهم المدد من كل ناحية، ونهضوا لقتال المجوس من كل جانب، فخرج إليهم المجوس وقاتلوهم فكاد المسلمون ينهزمون ثم ثبتوا فترجل كثير منهم، فانهزم المجوس، وقتل نحو خمسمائة رجل وأخذوا منهم أربعة مراكب، فأخذوا ما فيها وأحرقوها، وبقوا أياماً لا يصلون إلى المجوس لأنهم في مراكبهم، ثم خرج المجوس إلى لبلة فأصابوا سبياً، ثم نزل المجوس إلى جزيرة قرب قوريس فنزلوها، وقسموا ما كان معهم من الغنيمة، فحمى المسلمون ودخلوا إليهم في النهر فقتلوا من المجوس رجلين، ثم رحل المجوس فطرقوا شدونة، فغنموا طعمة وسبياً وأقاموا يومين ثم وصلت مراكب لعبد الرحمن صاحب

الأندلس إلى إشبيلية ، فلما أحس بها المجوس لحقوا بلبلة فأغاروا وسبوا ثم لحقوا باكشونية ثم مضوا إلى باجة ثم انتقلوا إلى مدينة اشبونة ، ثم ساروا فانقطع خبرهم عن البلاد فسكن الناس » .

*

ويقول ابن عذاري عن هجمات النورمان : « وقد بدت سفنهم تملأ المحيط على مدى البصر، وكأنها طيور حمراء » ـ فقد كان اللون الأحمر من الألوان المفضلة عندهم .

*

وكتب الأستاذ علي محمد حمودة[1] في معرض الحديث عن « صلة عبد الرحمن بالروم والنرمانديين ـ سفارات الغزال ـ » ما يلي عن سبب سفارة الغزال إلى النورمان :

« ولقد سفر الغزال لعبد الرحمن لدى النرمانديين وهم شعب جرماني كان يقطن اسكندیناوه والدانيمرك ، وكانوا يغيرون بحراً على سواحل أوروبا بما فيها الأندلس ، يتطرقون من مصبات الأنهار إلى

---

(١) تاريخ الأندلس السياسي والعمراني والاجتماعي

المدن الداخلية في خفاف المراكب وصغار القوارب فينهبون ويسلبون ثم يعودون سراعاً إلى أوطانهم .

وكان أول ظهورهم في سواحل الأندلس أيام عبد الرحمن الأوسط ، وكان المسلمون يسمونهم المجوس لأنهم كانوا وثنيين لا يرحمون مسلماً ولا مسيحياً فظهروا أولاً في إشبونة ـ بالبرتغال الآن ـ وحاربهم أهلها ثلاثة عشر يوماً ثم تقدموا إلى قادس ثم قصدوا اشبيلية نهراً ونزلوا قريباً منها قاتلوا أهلها فهزمهم المسلمون وغنموا بعض مراكبهم ثم مضوا إلى اشبونة وفروا من هناك عند اقتراب الأسطول والجيش لعقابهم » .

كما ذكر أيضاً لسان الدين بن الخطيب[1] في معرض الحديث عن الأمير عبد الرحمن بن الحكم : « وفي أيامه خرجت مراكب المجوس ، فدخلت مدينة اشبيلية Seville وقادس Cadix وشذونة Sidona واشبونة Lisbonne ، ثم انهزموا ، والمجوس هم الذين يسمّونهم اليوم نصارى قشتالة Castille بالأنقليش ، وأهل المشرق بالفرنج وبالانكليز ،

---

(١) تاريخ إسبانيا الإسلامية لذي الوزارتين لسان الدين بن الخطيب السلماني ، تحقيق ليفي بروفنسال، ص / ١٨ ـ ٢٠

ومستقر ملكهم بجزيرتين عظيمتين ذرْع إحداهما سبعمئة ميل ، وهم أهل قوة وبأس وشدة » .

*

وقد ورد في « البيان المغرب » مثل هذا النص تقريباً .

*

وكما عرفنا ، فإنه من الثابت أن الفيكنغ كانوا ينهبون كل ما يقع تحت أيديهم من مال ومتاع ، وما زالت الدراسات والحفريات الأثرية تثبت كثيراً من هذه الأمور .

ففي الدراسة التي نشرتها رينه واتكنس تحت عنوان « ملحمة الفيكنغ » يشاهد القاريء صورةً واضحةً جداً كتبت تعليقها هذه الكاتبة[1] بأنها « مجموعة من قطع العملة الإسلامية التي تداولها الفيكنغ » .

---

(١) L'Epopée Wiking, par Renée Watkins Coll. Les Grands tournants de l'histoire مجلد ٢ ص ١٠١

وفي ٢٠ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٣[٢] أوردت وكالات الأنباء العالمية نبأً يقول: «إنه تم اكتشاف كنز ثمين يتألف من ٤٠٠ قطعة عملة إسلامية يعود تاريخها إلى القرن التاسع الميلادي في بلدة رالسفياك Ralswiek (جزيرة روجن Ruegen في بحر البلطيق) و١٨٠٠ قطعة مجزوءة، ومعظمها يعود إلى سنة ٨٤٢م ومصدرها العراق وإيران وإسبانيا «التي كانت حينئذ تحت الحكم العربي».

(٢) جريدة L'Orient تاريخ ٢٠/١١/١٩٧٣ وجريدة Assafa
وأطروحة محمد صالح البنداق Les Orientalistes Polonais Thèse de doctorat - 1973_
ص ٢٤
سنة ١٩٧٣

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

ملك الفيكنغ يوجه رسالة للأمير عبد الرحمن وانتداب سفير أندلسي لبلاد النورمان

إزاء الهجومات المكثفة التي شنها النورمان بعد ما تبين لهم ما في الأندلس من الخيرات التي يبحثون عن نهبها ، وبعد ما تحققوا من ازدهار تلك البلاد وعظمة مدنها وكثرة القصور فيها ومختلف مظاهر الحضارة التي تعيشها ، فقد عمد المسلمون إلى رد فعل حاسم فأعدوا لهم ما استطاعوا من قوة عند ضفة نهر الوادي الكبير وهاجموا سفن النورمان وقواربهم المحملة بالخيرات المنهوبة فحطموا بمجانيقهم ومعداتهم العشرات منها وقضوا على عدد من المكتسحين وأنزلوا بهم أشد الهزيمة وأسروا بعضهم .

عندها رفع النورمان لواء الاستسلام وطلبوا الفداء فقبل المسلمون . وبذلك لم يتمكن النورمان من

تحقيق غايتهم بالإستيلاء على المدن الأندلسية والعاصمة التي كانت هدفهم الأول والأخير .

وأدرك ملك الغزاة مدى قوة المسلمين ، واعتقد أنهم سوف ينتقمون منه ومن شعبه فبادر فوراً إلى توجيه سفارة لأمير الأندلس عبد الرحمن يطلب الصلح وتوطيد العلاقات .

ويحدد الغزالي حرب المركز الذي انطلقت منه هذه السفارة فيقول[1]: « . . . فقاومهم الأندلسيون والأمويون مقاومة باسلة ، جعلت تورجايوس ملك النورمان يرسل من شمال إيرلندا ، سفارة لطلب الصلح والأمان إلى عبد الرحمن الثاني أمير الأندلس » .

*

هنا تحركت الدبلوماسية الإسلامية واهتمت بالوقوف على أحوال وأوضاع هؤلاء الغزاة الذين وصلوا إلى عقر الديار الإسلامية وأغاروا عليها بطريقة مفاجئة ، فقرر الأمير عبد الرحمن الرد على سفارة ملك النورمان بسفارة مماثلة فانتدب رجل الساعة يحيى بن الحكم

---

(١) قافلة الزيت ، عدد ٧ ، مجلد ١٦ ، رجب ١٣٨٨هـ / سبتمبر أكتوبر ١٩٦٨ م

الغزال ومعه وفد على مستوى المهمة لم يحفظ لنا التاريخ من أسماء أعضائه سوى اسم صديقه وشاعره لهذه المهمة ، العالم الفلكي يحيى بن حبيب « صاحب المنيقلة » .

*

وفي هذه السفارة يقول الدكتور عباس حلمي الحلي[1]: « ولعل أبهى لوحة رسمها المؤلف تلك التي اختصت بسفارة يحيى بن حكم الغزال إلى الجزر البريطانية موفداً من الدولة الأموية في الأندلس ، وكانت بريطانيا آنذاك يحكمها النورمان ، وملكها إسمه توركايوس ، وعاصمته في شمال إيرلندا ، إن هذه اللوحة جديرة بأن تعرض على مسارح التمثيل والسينما ، لأنها تمثل علاقات تاريخية نادرة في دبلوماسية القرون الوسطى »

*

(١) في معرض الحديث عن كتاب الدكتور إبراهيم أحمد العدوي عن « السفارات الإسلامية إلى أوروبا في العصور الوسطى » (مجلة منار الإسلام ، عدد ٢ ، سنة ٤ ، صفر ١٣٩٩هـ ص ٧٣)

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

إهتمام الدارسين بالتقرير عن سفارة الغزال إلى ملك النورمان

كانت سفارة الغزال إلى بلاد النورمان موضع اهتمام من قبل البحاثة والمؤرخين العرب والأجانب. ويقول عنها الأستاذ محمد عبد الله عنان[1] « وإنما نعنى هنا بحادث دبلوماسي شهير، كان من بعض آثار هذه الغزوات - يعني غزوات الفيكنغ - وهو من الحوادث الدبلوماسية الفريدة في علائق الشرق والغَرْب »

وقد درسوها من جميع جوانبها إستناداً إلى تقرير - رواية - ابن دحية عنها كلمةً كلمةً بكل دقة واهتمام، وكانوا يقارنون بين ما ألّفوه أو ترجموه بعضهم البعض حول هذا الموضوع رغم مرور

(١) الرسالة، عدد ١٣٢ سنة ١٩٣٦، صفحة ٤٨

سنوات على ترجماتهم له ، وفاصل الزمن بين ترجمة وأخرى . وراحوا في مجال التدقيق بالوقائع المتعلقة بهذه السفارة ، يحددون المسافات التي وردت في التقرير ، والأوضاع الجغرافية للجزر التي أشار إليها ، وطبيعة جوّها ، وما فيها من موارد ، فضلاً عن التحقيق والتدقيق باسم الملكة التي ورد إسمها عند ابن دحية الملكة ، نود ، وفي قصيدة الغزال بها ، واسم الملك الذي أرسل السفير ثم استقبل السفير المسلم ، كل ذلك وغيره أيضاً في سبيل تحديد مقر الملك الذي انطلقت منه سفارة الفيكنغ إلى الأمير عبد الرحمن .

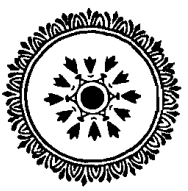

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

المرجع الأساسي
لوقائع سفارة الغزال
لدى ملك النورمان

تعتبر هذه السفارة فعلاً من أطرف ما عرفته الدبلوماسية الإسلامية خاصة والدبلوماسية عامةً في تاريخها عبر العصور. والمرجع الأصلي الأوحد الذي ترك لنا أخبارها هو كتاب « المطرب في أشعار أهل المغرب » لواضعه ابن دحية، وهو مصدر متأخر عن تاريخ حدوث السفارة بنحو أربعة قرون، الأمر الذي حمل البعض على إنكار وجود تلك السفارة.

وقد استقى ابن دحية تقريره الرواية من مصادر تمّام بن علقمة، فيما استقاها هذا من معاصره يحيى الغزال وصحبه. وكل ما كتب غير ذلك سواء أفي المؤلفات القديمة أم الحديثة، إنما يعتمد هذا المصدر.

ولما كان غير ذلك من كتب المتقدمين والمعاصرين

للغـزال لم يورد قصة السفـارة إلى بلاد النورمـان ، فقـد وجـد البعض ـ لغـاية في نفوسهـم ـ حجـة لنكرانهـا ، ولا أرى ـ يقـول الدكتـور عبـد الرحمـن الحجـي ـ في هذا أي حجـة فاصلـة ، إذ أنـه لدينـا أحداث أخـرى لم ترد إلاّ في كتـب المتأخـرين ولـم يروها غير مصدر واحـد ورغـم ذلك فما وجدنـا من يقول بنكرانها »[1]

يعود الفضل إذن لابـن دحية بتعريفنـا على سفـارة الغزال لبلاد النورمان والتفاصيل العائدة إليهـا ، وهـو وإن أتى متأخراً عن زمن حدوث هذه السفارة ، ممـا حمـل البعض ، وفي مقدمتهـم ليفـي بروفنسـال ، على إنـكار وجودهـا ، وجعلهـا من نسـج الخيال ، فإن إنكارها بوجه حتمـي لا سبيل إليه . فقـد حفـظ لنـا كثير من المؤلفات المتأخرة مؤلفـات للمتقدمـين فقـدت تماماً ولو لم تصل إلينـا عن طريق المؤلفـين والكتـاب اللاحقـين لما توّفـر لنـا شيء منهـا . فهـل يمـكن أو يعقـل أن ننكرهـا لمجـرد أنهـا وردت في كتـب المتأخرين ؟

ولقد أورد المقّري[1] مقتطفات من قصة الغزال فيما

---

(١) أندلسيات ، من مقال نشر في عدد الملحق الأسبوعي لجريدة « الجمهورية » بغداد ، الخميس ٦/ ٤/ ١٩٦٧

(١) نفح الطيب ، جزء ٧

استقى من معلومات ضمنها كتابه الشهير من مصادر العلامة ابن الخطيب ذي الوزارتين .

*

وقد نُشِرَت قصة الغزال وسفارته إلى بلاد النورمان خاصةً على يد عدد من المستشرقين باللغات الأجنبية كما رواها كقصة بعض المتأخرين . ونذكر هنا بعض ما عرفناه منها أو ما ذكر عنه في المراجع :

بالفرنسية Levi - Provençal

بالفرنسية عام ١٨٩٣ Reinhart Dozy

باللاتينية A.Seippel

Rerum normannicarum fontes arabici, Oslo 1896

بالنروجية Birkeland

بالفرنسية Fabricius

بالالمانية عام ١٩٢٧ Georg Jacob

Arabische Berichte von Gesandten an Germanische Fürstenhofe aus d.q u 10. Jahrhundert Berlin - Leipzig

بالانجليزية Jon Stefânsson

إلى آخره . . . .

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

التعريف بابن دحية وبتام بن علقمة

قلنا أنه كان من نتيجة إجتياح الفيكنغ بلاد الأندلس وصدهم عنها من قبل المسلمين ، أن وجّه ملكهم سفارة للأمير عبد الرحمن . وقد اهتم الأمير بالأمر واستجاب لمبادلة ملك النورمان سفارة بسفارة واختار لها الشاعر الغزال صديقه وكاتبه ومستشاره ، وكان ذلك في أواخر صيف ٨٤٥ م - أوائل سنة ٢٣١ هـ .

وسنثبت في مكانه تقرير ابن دحية عن هذه السفارة . ولكن ينبغي علينا أولاً أن نتعرف إلى هذا المفكر الأندلسي وقيمته وقيمة مؤلَّفه التي جعلته موضع ثقةٍ لأعتماد روايته عن تلك السفارة الخطيرة .

*

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

ابن دحية

ابن دحية (ذو النسبين أبي الخطّاب عمر بن حسن . ولد في بلنسية) نحو منتصف القرن الثاني عشر للميلاد (١١٥٩م) وكان ضليعاً باللغة والتاريخ وخصوصاً الأحاديث النبوية التي كان يقطع الفيافي بحثاً عن صحتها والتدقيق فيها ، وقد سافر من أجل ذلك عبر إسبانيا وبلدان افريقيا وآسيا ومات في القاهرة سنة ٦٣٣هـ - ١٢٣٥م .

وقد نقل عن تمام بن علقمة وقيل فيه « إنه أطنب في تفصيل سفارة الغزال إلى بلاد المجوس » . ونرى أن شخصاً يبحث عن صحة حديث نبوي لأخذه من أوثق المصادر والوقوف على حقيقة روايته لا يسمح لنفسه أن يخترع أقاصيص وروايات غير صحيحة أو يبالغ فيها سيما وإنها تتعلق بأمر هام هو العلاقات الخارجية بين بلاده الأندلس وملك النورمان .

كتب عنه غونزالس[1] يقول : « ألّف ابن دحية « كتاب النبراس في ذكر خلفاء بني العباس » (نشر في بغداد سنة ١٩٤٩) وهو من الكتب التي اعتمد عليها ابن خلكان ، ووضع مصنَّفين في الحديث ، وكتاباً عن شعراء الأندلس والمغرب هو « المطرب من أشعار أهل المغرب » يروي فيه الأخبار والأشعار دون منهج كما تواردت على خاطره ويقول :

« لم أقصد جمع ذلك على الترتيب ، ولا سلكت فيه مسلكي المعهود في التبويب والتهذيب ، بل استرسلت فيه مع الخاطر على ما يجود به ويسمح ، ويعنّ له ويسنح ، فالناظر فيه يسرح في بساتين ، ويمرح في ميادين ، ويخرج من فن إلى فنون ، والحديث ذو شجون » . إذ أنه كان قد خلف معظم كتبه في المغرب ، وسطا عليها لصوص البحر في الطريق ونهبوا ما بقي له منها ، وعلى رغم ذلك كله فإن كتابه حافل بالفوائد ـ مثال ذلك أخبار سفارة يحيى الغزال إلى بلاد النورمانيين ـ . هذا وله كذلك كتاب طريف عنوانه : « كتاب الإعلام المبين في المفاضلة بين أهل صفّين » .

وجدير بالذكر أن المخطوطة الأصلية والممتازة

(١) تاريخ الفكر الأندلسي ، غونزالس بلانسيا، ترجمة حسين مؤنس، ص ٢٨٤

لكتاب ابن دحية « المطرب في أشعار أهل المغرب » هي ضمن مقتنيات المتحف البريطاني بلندن تحت رقم ١٦٣١ . فقد ابتاعتها إدارة المتحف في شهر نيسان سنة ١٨٦٨ ؛ وفي منتصف القرن العشرين، صوّرتها وزارة التربية والتعليم في مصر ونشرتها بتحقيق الأساتذة إبراهيم الإبياري ، وحامد عبد المجيد ، وأحمد بدوي ، ومراجعة الدكتور طه حسين ، وطبعت في المطبعة الأميرية ، بالقاهرة ، سنة ١٩٥٤ .

ويقول برنارد لويس في دراسته عن « اكتشاف المسلمين لأوروبا » إن تقرير ابن دحية أقدم ما وصلنا عن سفارة إسلامية بين قرطبة وبلاد الفيكنغ في حدود سنة ٨٤٥ م.

ووصفه دوزي بأنه « تقرير طريف مشوق وفريد من نوعه »[١] .

---

(١) ص ٢٧٨ Dozy- Recherches

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

تمام بن علقمة ١٨٤ ـ ٢٨٣ هـ
٨٠١ ـ ٨٩٦م

كان تمام بن علقمة المصدر الرئيسي الذي استقى ابن دحية من كتاباته ما أفادنا عن يحيى بن الحكم الغزال في سفارته إلى بلاد النورمان . ويبدو أن له كتاباً في « التاريخ الأدبي الأندلسي » وله أرجوزة تاريخية ذكر فيها أحداث الأندلس بشيء من التفصيل ، فذكر ولاتها وخلفاءها ووصف أحوالها منذ فتحها على يد طارق بن زياد حتى آخر أيام الأمير عبد الرحمن بن الحكم وذلك على غرار نفر من الأندلسيين الذين نهجوا هذا النهج . وكان تمام وزيراً في عهد ثلاثة أمراء هم محمد بن عبد الرحمن وابنيه المنذر ، وعبد الله ، وكان صديقاً للغزال حيث كان يروي عنه ويقول : « حدثني الغزال فقال . . .

وقد توفي تمّام بن علقمة سنة ٨٩٦ م بعد أن عمرّ ٩٦ سنة تقريباً .

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

تقرير ابن دحية
عن سفارة الغـزال
إلى بلاد المجوس النورمان

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

تقرير ابن دحية
عن سفارة الغـزال
إلى بلاد المجوس النورمان

قـال ابـن دحية عن سفـارة الغـزال إلى بلاد المجوس :

« ولما وفد على السلطـان عبـد الرحمـن رسـل ملك المجوس تطلب الصلح بعـد خروجهـم من اشـبيلية ، وإيقاعهـم بجهاتهـا ثم هزيمتهـم بهـا ، وقتْـل قائـد الأسطـول فيهـا ، رأى أن يراجعهـم بقبـول ذلك ، فأمر الغزال أن يمشي في رسالته مع رسـل ملكهـم لما كان الغزال عليه من حدة الخاطر ، وبديهـة الـرأي ، وحسن الجواب والنجدة والإقـدام والدخـول والخـروج من كل باب ، وصُحبَته يحيى بن حبيب ، فنهض إلى مدينة شلْب[1]، وقـد انشيء لهما مركب حسـن كامـل

(١) Silvès من بلاد الأندلس جنوبي باجة

الآلة، وروجع ملك المجوس على رسالته ، وكوفيء على هديته ، ومشى رسول ملكهم في مركبهم الذي جاؤا فيه مع مركب الغزال ، فلما حاذَوا الطرف الأعظم الداخل في البحر الذي هو حد الأندلس في آخر الغرب ، وهو الجبل المعروف بألُوية ، هاج عليهم البحر ، وعصفت بهم ريح شديدة ، وحصلوا في الحد الذي وصف الغزال في قوله :

قال لي يحيى، وصرْنا
بين موج كالجبالِ
وتولتنا عصوفٌ
من جنوب وشمال
شقّت القلعين وأنبتت
عرى تلك الحِبال
وتمطى ملك الموت
إلينا عن حيال
فرأينا الموت رأي العين
حالاً بعد حال ـ :
لم يكن للقوم فينا
يا رفيقي رأس مال

ثم إن الغزال سلم من هول تلك البحار وركوب الأخطار ووصل أول بلاد المجوس ، إلى جزيرة من جزائرها فأقاموا فيها أياماً وأصلحوا مراكبهم واجمّوا أنفسهم . وتقدم مركب المجوس إلى ملكهم ، فأعلمه

بلحاق الرسل معهم ، فَسُرَّ بذلك ووجّه فيهم ، فمشوا إليه إلى مستقر ملكه ، وهي جزيرة عظيمة في بحر المحيط ، فيها مياه مُطّردة وجنات ، وبينها وبين البر ثلاث مجار ، وهي ثلاثمئة ميل ، وفيها من المجوس ما لا يُحصى عددهم . وتقرب من تلك الجزيرة جزائر كثيرة ، منها صغار وكبار أهلها كلهم مجوس ، وما يليهم من البر أيضاً لهم مسيرة أيام ، وهم مجوس ، وهم اليوم على دين النصرانية وقد تركوا عبادة النار ، ودينهم الذي كانوا عليه ، ورجعوا نصارى إلاّ أهل جزائر منقطعة لهم في البحر هم على دينهم الأول من عبادة النار ، ونكاح الأم والأخت وغير ذلك من أصناف الشنار . وهؤلاء يقاتلونهم ويسبونهم . فأمر لهم الملك بمنزل حسن من منازلهم ، وأخرج إليهم من يلقاهم ، واحتفل المجوس لرؤيتهم . فرأوا العجب العجيب من أشكالهم وأزيائهم . ثم إنهم أنزلوا في كرامة ، وأقاموا يومهم ذلك ، واستدعاهم بعد يومين إلى رؤيته ، فاشترط الغزال عليه ألاّ يسجد له ولا يُخرجهما عن شيء من سنتهما ، فأجابهما إلى ذلك . فلما مشيا إليه قعد لهما في أحسن هيئة ، وأمر بالمدخل الذي يُفضي إليه ، فضُيّق حتى لا يدخل عليه أحد إلاّ راكعاً ، فلما وصل إليه جلس إلى

الأرض وقدم رجليه وزحف على إليته زحفة ، فلما جاز الباب استوى واقفاً . والملك قد أعدّ له وأحفل في السلاح والزينة الكاملة ، فما هاله ذلك ولا ذعره ، بل قام مائلاً بين يديه فقال : السلام عليك أيها الملك وعلى من ضمه مشهدك ، والتحية الكريمة لك ، ولا زلتَ تمُتَّع بالعز والبقاء والكرامة الماضية بك إلى شرق الدنيا والآخرة ، والمتصلة بالدوام في جوار الحي القيوم الذي كل شيء هالك إلا وجهه ، له الحكم وإليه المرجع[1] . ففسر له الترجمان ما قاله فأعظم الكلام وقال : هذا حكيم من حكماء القوم ، وداهية من دهاتهم . وعَجب من جلوسه على الأرض وتقديمه رجليه في الدخول وقال : أردنا أن نُذلّه فقابَل وجوهنا بنعليه . ولولا أنه رسول لأنكرنا ذلك عليه ! ثم دفع إليه كتاب السلطان عبد الرحمن وقريء عليه الكتاب وفُسِّر له . فاستحسنه وأخذه في يده ، فرفعه ثم وضعَه في حجره ، وأمر بالهدية ففتحت عيابها ، ووقف على جميع ما اشتملت عليه من الثياب والأواني ، فأعجب بها وأمر بهم فانصرفوا إلى منزلهم ووسع الجراية عليهم .

وللغزال معهم مجالسُ مذكورة ، ومقاوم مشهورة ،

---

(١) القرآن الكريم الآية ٨٨ سورة القصص رقم ٢٨ « كل شيء هالك إلا وجهه ، له الحكم وإليه تُرجعون »

في بعضها جادل علماءهم فبكّتهم ، وفي بعضها ناضل شجعانهم فأثبتهم .

ولما سمعت امرأة ملك المجوس بذكر الغزال وجهت فيه لتراه ، فلما دخل عليها سلّم ، ثم شخص فيها طويلاً ينظرها نظرَ المتعجب ؛ فقالت لترجمانها : سلْه عن إدمان نظره لماذا هو؟ أَلِفَرْط إستحسان أم لضد ذلك ؟ فقال : ما هو إلاَّ أنّي لم أتوهم أن في العالَم منظراً مثل هذا ، وقد رأيت عند ملكنا نساءً انتخبن له من جميع الأمم فلم أر فيهن حسناً يشبه هذا ، فقالت لترجمانها : سلْه أمجدٌ هو أم هازل ؟ فقال : لا ، بل مجد . فقالت له : فليس في بلدهم إذاً جمال ! فقال الغزال : فأعرضوا عليّ من نسائكم حتى أقيسها بها . فوجهت الملكة في نساءٍ معلومات بالجمال فحضرن ، فصعّدَ فيهن وصَوّب ثم قال : فيهن جمال وليس كجمال الملكة ، لأن الحسن الذي لها والصفات المناسبة ليس يميزه كل أحد ، وإنما يُعنى به الشعراء ، وإن أحبت الملكة أن أصف حسنها وحَسَبها وعقلها في شعر يُروى في جميع بلادنا فعلتُ ذلك . فسُرّت بذلك سروراً عظيماً وزُهيت ، وأمرت له بصلة ، فامتنع من أخذها الغزال ، وقال : لا أفعل ، فقالت للترجمان : سله ، لم لا يقبل صلتي ؟ أَلأنّه حَقَرَها أم لأنه حَقَرني ؟

فسأله ، فقال الغزال : إن صلتها لجزيلة ، وإن الأخذ منها لَتَشَرُّف لأنها ملكة بنت ملك ، ولكن كفاني من الصلة نظري إليها وإقبالها علي ، فحسبي بذلك صلة وإنما أريد أن تصلني بالوصول إليها أبداً . فلما فسر لها الترجمان كلامه زادت فيه سروراً وعُجباً ، وقالت : تحمل صلتهُ إليه ، ومتى أحب أن يأتيني زائراً فلا يُحجب ، وله عندي من الكرامة والرحب والسعة . فشكرها الغزال ، ودعا لها وانصرف .

قال تمام بن علقمة : سمعت الغزال يحدث بهذا الحديث فقلت له : وكان لها من الجمال في نفسها بعضُ هذه المنزلة التي صورت ؟ فقال : وأبيك ، لقد كانت فيها حلاوة ، ولكني اجتلبت بهذا القول محبتها ، ونلت منها فوق ما أردت .

قال تمام بن علقمة : وأخبرني أحد أصحابه ، قال : أولَعت زوجة ملك المجوس بالغزال فكانت لا تصبر عنه يوماً حتى توجه فيه ، ويُقيم عندها يحدثها بِسِيَر المسلمين وأخبارهم وبلادهم ، وبمن يجاورهم من الأمم فقلما انصرف يوماً قط من عندها إلا اتْبعته بهدية ، تلطُفه بها من ثياب أو طعام أو طيب ، حتى شاع خبرها معه ، وأنكره أصحابه ، وحُذِّر منه

الغزال ، فحذر واغـب زيارتهـا . فباحثـه في ذلك ، فقال لها ما حُذِّر منه فضحكت وقالـت له : ليس في ديننا نحـن هذا ، ولا عندنـا غـيرة ، ولا نساؤنـا مع رجالنا إلا باختيارهـن ، تقيم المرأة معـه ما أحبـت ، وتفارقـه إذا كرهـت . وأمـا عادة المجـوس قبـل أن يصل إليهم دين رومة ، فألاّ يمتنـع أحـد من النسـاء على أحـد من الرجـال ، إلاّ أن يصحـبَ الشريفـةَ الوضيعُ ، فَتُعَيَّر بذلك ويَحجـرُه عليهـا أهلهـا . فلما سَمـع ذلك الغـزال من قولهـا أنس إليه وعـاد إلى استرساله .

قال تمام : كان الغزال في اكتهاله وسيماً ، وكان في صباه جميلاً ، ولذلك سمي بالغـزال . ومشى إلى بلاد المجوس وهو قد شارف الخمسين وقد خطـه الشيب ، ولكنه كان مجتمـع الأَشُـدّ ، ضَرْب الجسـم[1] ، حسـن الصورة . فسألته يوماً زوجة الملك ـ واسمها نود ـ عن سِنِّه ، فقـال مداعبـاً لهـا : عشرون سنـة . فقالـت للترجمـان : ومـن هو من عشرين سنـة يكون به هذا الشيب ؟ فقال للترجمان : وما تنكر من هذا ؟ ألم تر قط مُهـراً ينتـج وهـو أشهـب ؟ فضحـكت نود ، وأعجبت بقوله . فقال في ذلك الغزال بديهاً :

---

(١) ممشوق الجسم

كُلّفــت يا قلبــي هوى متْعبــاً
غالبــتَ منــه الضيغــم الأغلبا
إنــي تعلقــت مجــوسيةً
تأبــى لشمس الحســن أن تغربا
أقصى بلاد الله في حيث لا
يُلفــي إليهــا ذاهــب مذهبا
يا نودُ يا رودَ الشبــاب التــي
تُطْلِــعُ من أزرارهــا الكوكبا
يا بأبــي الشــخصَ الــذي لا أرى
أحْلَى على قلبــي ولا أعذبا
إن قلــتُ يومــاً أن عينــي رأت
مُشْبِهَــهُ لم اعْــذُ أن اكْذبا
قالــت: أرى فَوْديه قد نوّرا
دُعابَــةً توجــب أن ادعَبا
قلــت لهــا: ما بالــه؟ إنــه
قد ينتــج المُهــرُ كذا اشهبا
فاستضحكت عُجْبــا بقــولي لهــا
وإنمــا قلــتُ لكي تَعجَبا

وهذا الشعر لو روي لعمر ابن أبـي ربيعـة ، أو لبشار بن برد ، أو لعباس بن الأحنف ، ومـن سلك هذا المسلك من الشعـراء المحسنين لاستُغـرب له . وإنمــا أوجــب أن يكون ذكره منسياً ، ان كان

أندلسياً ، وإلا فما له أخمل ، وما حُقَّ مثله أن يُهمل .

ولنرجع إلى ذكر الغزال ، فإنه لما أنشد نود الشعر وفسره الترجمان لها ضحكت منه وأمرته بالخضاب . ففعل ذلك الغزال ، وغدا عليها يوماً ثانياً وقد اختضب ، فمدحت خضابه وحسّنته عنده : ففي ذلك يقول الغزال :

بكَرتْ تُحَسِّنُ لي سوادَ خضابي
فكأن ذاك أعادني لشبابي !
ما الشيْب عندي والخضابُ لواصفٍ
إلاّ كشمس جُلِّلَتْ بضباب
تخفى قليلاً ثم يقشعها الصَّبا
فيصير ما ستُرَتْ به لذهابِ
لا تُنكري وَضَح المشيب فإنما
هو زهرةُ الافهام والألباب
فَلَديّ ما تَهوَيْن من شأن الصِّبا
وَطُلاوة الأخلاق والآدابِ

ثم انفصل الغزال عنهم ، وصحبه الرسل إلى شنت يعقوب بكتاب ملك المجوس إلى صاحبها ، فأقام عنده مكرّماً شهرين ، حتى انقضى حَجُّهم فصدر

إلى قشتالة مع الصادرين ، ومنها خرج إلى طليطلة حتى لحق بحضرة السلطان عبد الرحمن بعد انقضاء عشرين شهراً » .

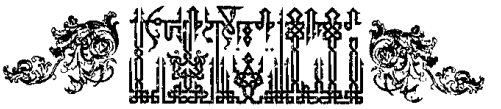

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

بين نودْ وتودْ

لعب اسم الملكة نود الأوروبية الشمالية دوراً في تثبيت أو عدم تثبيت كون سفارة الغزال حصلت فعلاً إلى الجزر الشمالية في البحر الأطلنطي أم لا ، سيما وإن نود قريبة جداً من تود والفارق بينها وبين تود حرف النون أو التاء ، وتود إسم التصغير لتيودورا التي كانت في ذلك الحين زوجة لملك القسطنطينية توفيلس.

إنطلاقاً من ذلك ، وبسبب عدم ورود ذكر سفارة الغزال إلى بلاد النورمان في مخطوطة يقول ليفي بروفنسال أنه وجدها في جامع القرويين بفاس ولم يستطع تعيين اسم كاتبها ، وهي تبحث في تاريخ إسبانيا الأموية بالقرن التاسع للميلاد ، فقد قرر نهائياً أن هذه السفارة هي من اختراع المخيلة الشعبية

والمزج بين أخبار سفارة الشمال والسفارة إلى بلاد الروم .

وقد أورد له هذا الرأي بالنسبة لاسم الملكة الدكتور عبد المنعم ماجد[1] دون أي تعليق حيث قال : « ثم إن المستشرق ليفي بروفنسال يرى أن تود ملكة ـ المجوس ، قد تكون تحريفاً لتود ـ وهي تيودورا Théodora ـ ملكة الروم » .

ونقل صاحب نفح الطيب[2] عن ابن دحية قوله :

« . . . . ألم تريْ قط مهراً ينتج وهو أشهب ؟ فأعجبت بقوله فقال في ذلك ـ واسم الملكة تود :

كلفت يا قلبي . . . .

وقد علق المعلق على اسم الملكة بالفرنسية فقال[3] :

تودا : اسم الملكة النورماندية

Tuda: nom de la reine normande

*

ويقول الحجي[4]: «نود : هي زوجة هوريك ملك

(١) في كتابه عن « العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى ، ص ٨٠

(٢) طبعة مصر ، ص ٣٥٧ الخ .

(٣) طبعة مصر ، ص ٣٦٩

(٤) أندلسيات ، ص ٧٢

الدانمرك وكان الغزال يحادثها بسير الإسلام وأخبار المسلمين وبلادهم وبمن جاورهم من الأمم » .

أما فابريسيوس[1] فيقول : إن العلاقة الخاصة التي جمعت بين الغزال والملكة فهي علاقة ذات لون شاعري ، أما اسم نود فيمكن أن يكون تحويراً لأصله المتداول في بلدان الشمال والذي لم يحفظه أو يلفظه العرب لفظاً صحيحاً أمثال هذه الأسماء الشمالية : أسني Asny ، أودون Audun ، غودرون Gudrun ، هرودني Hrodny ، أيدونّ Idunn ، أودّني Oddny ، أونّر Unner ، إلخ .. الخ ..» . وقضية تحوير الأسماء الأجنبية عند العرب من الأمور المعروفة لدى المطلعين . .

*

ويذهب ألن Allen [2] إلى الافتراض بأن نود Nud هي ذاتها الملكة أوتا Ota المعروفة في المصادر الايرلندية بأنها كانت تعيش في عام ٨٤٥م في مناطق نهر شانون Shannon بإيرلندا وإلاّ فان

---

(١) في دراسته عن سفارة الغزال إلى بلاد النورمان . نشرة مؤتمر المستشرقين عام ١٨٨٩ ، استوكهولم)

(٢) An attempt to reconstruct the Embassy of Al Ghazal ص٣٩

أخبار الغزال تنطبق على مكان آخر لاجتماعه بالملك وهو إيرلندا الجنوبية الغربية أكثر منه الدانمرك .

ويقول[1] في معرض التحقيق الذي قام به عن صحة إسم الملكة أن اسم زوجة تورغاليس ورد في المصادر الإيرلندية . وأقدم هذه المصادر كتاب عن حرب غاديل[2] التي تضمنها كتاب لاينشتر وهذا يرجع تاريخه إلى منتصف القرن الثاني عشر للميلاد ، وفيه : « أن زوجة الملك تورغايس استولت على كلوناكنوا ، وكان إسمها أوتّار Ottar. وفي مكان آخر من الكتاب ذاته ، ينقل ألن عن الكتاب المذكور « أن المكان الذي اتخذته أوتا ، زوجة تورغايس ، مقراً لاستقبالاتها كان عند مرتفعات كلوناكنوا . وفي ملاحظة هامشية من هذا الكتاب أيضاً يقول ناشره أن الاسم السكانديناقي لهذه السيدة كان إمّا أودر Audr أو أودا Auda ولم يذكر في أي من الأساطير السكاندينافية .

ويتابع ألن فيقول أن نود هي ذاتها أوتا وأوتا تعني نود وقد اعتمد هذا التفسير كل من Steenstrup عام ١٨٧٨ ، والكسندر بوج

---

(١) ص ٤٦

(٢) Book of Leinster - War of the Gaedhil

Alexander Bugge عام ١٩١٠ وغيرهما . ويكتب ألن هذه المقارنة الطيفة هكذا :

(Ota = Audr (or Udr, Unnr, = Nud)

على أن ما يجدر الإشارة إليه إذا رجعنا إلى نص تقرير ابن دحية عن سفارة الغزال ، نجد أن تمام ابن علقمة إنما أورد إسم الملكة بطريقة عفوية لا تكلُّف فيها مرتين حيث يقول :

« فسألَتْه يوماً زوجة الملك ـ واسمها نود ـ عن سنّه فقال مداعباً لها : عشرون سنة . فقالت للترجمان : ومن هو من عشرين سنة يكون به هذا الشيب ؟ فقال للترجمان : وما تنكر من هذا ؟ ألم تر قط مُهراً ينتج وهو أشهب ؟ فضحكت نود ، وأعجبت بقوله .

وجاء أيضاً : «ولنرجع إلى ذكر الغزال ، فإنه لما أنشد نود الشعر وفسره الترجمان لها . . . »

وورد كذلك اسمها بطريقة عفوية في القصيدة التي أنشدها إياها الغزال لتوّه :

إني تعلقت مجوسية
تأبى لشمس الحسن أن تغربا

يا نود يا رود الشباب التـي
تطلـع من أزرارهـا الكوكبا

هذا ما توفر لنا من الشروح والنصوص والاستنتاجات عن قضية إسم الملكة ونرى أن نود هي فعلاً ملكة المجوس التي قابلها الغزال وأن اسمها الغربي على لطافته لا يُستبعد أن يكون تعديلاً أو تحويراً بسيطاً شأن العرب في تعديلهم الأسماء الأجنبية كما قال فابريسيوس . فشذونة هي سيدونا Sidona ، وشلب هي سلفس Silvès ، وشنت يعقوب (!) هي !! Santiago de Compostela واشبيلية هي سافيليا Seville ألخ . وهذه التحويرات معروفة وموجودة في الكتب وإني لأنقل كيف اختلف ابن الأثير مع الطبري على لفظ وكتابة إسم Théodora تيودورا وهل هي تدورة أم تذورة ؟؟!

فقد ورد في « الكامل »[1] إسم تيودورا هكذا :

« وفيها - أي في سنة ٢٤١ - كان الفداء بين المسلمين والروم بعد أن قتلت تدورة ملكة الروم من أسرى المسلمين إثني عشر ألفاً . . . . »

وفي ملاحظة هامشية بالصفحة ذاتها نقرأ :

---

(١) لابن الأثير مجلد ٥ صفحة ٢٩٥

« في الطبري « تذورة » بالذال المعجّمة !!![1]

*

(١) نَذْكر في هذه المناسبة ما يؤدي اليه عدم التنقيط الصحيح في الكتابة والطباعة من تفاوت وبلبلة ونشير الى القصة التي نقلها الأستاذ أحمد أمين في كتابه « ظهر الإسلام » ـ الباب الثاني ـ على أنها تتعلق بأبي علي القالي ـ بالقاف ـ فقال أنه قد ضاقت به الحال قبل أن يرحل إلى الأندلس حتى اضطر أن يبيع بعض كتبه وهي أعز شيء عنده ومنها كتاب « الجمهرة » لابن دريد فاشتراه منه الشريف المرتضى .

الواقع أن أبا علي القالي ـ صاحب « الامالي » قد مات سنة ٣٥٦ هـ أي بعد مولد الشريف المرتضى سنة ٣٥٥ هـ بعام واحد .

ولدى التحقيق بذلك يتبين ان القصة التي يذكرها الاستاذ احمد أمين منقولة عن كتاب « وفيات الاعيان » حيث حكي أن أبا الحسن علي بن أحمد بن سلك الفالي ـ بالفاء ـ هو الذي باع الشريف المرتضى الكتاب . والفالي هذا اديب شاعر من فالة وهي بلدة بخوزستان وقد توفي سنة ٤٤٨ هـ .

ولدى مقارنة التواريخ نتحقق من السهو . والفرق بين الفالي والقالي هو في نقطة بين الفاء والقاف ! فصلت بين رجلين كبيرين ، وامتدت من زمن الى زمن ومن جيل الى جيل !!!

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

مواقف مشتركة بين المستشرقين حول صحة تقرير ابن دحية فيما يتعلق بسفارة الغزال إلى بلدان المجوس.

أورد المستشرقون الثلاثة فابريسيوس ودوزي وألن ملاحظات قيمة سداها الاقتناع بثبُوت سفارة الغزال لدى ملك النورمان المجوس وهي ملاحظات تدحض نظرية ليفي بروفنسال الذي ينفي وجود هذه السفارة وإننا سنذكر هذه الملاحظات بطريقة موجزة ونضّمنها طبعاً ملاحظاتنا الخاصة :

١ / من أين ركب الغزال البحر؟

جاء في تقرير ابن دحية أن الغزال عندما تلقى وصحبه التكليف بالسفارة إلى بلد النورمان « نهض إلى مدينة شلْب وقد أنشيء لهما مركب حسن » .

إن المطلع على خريطة الجزيرة الايبرية يرى أن مدينة شلب Silvés تقع ، تقريباً ، في أقصى الطرف الجنوبي الغربي للجزيرة ، وهي اليوم في البورتغال . إذن لا يعقل أن يكون الغزال قد اتجه نحو الغرب وإلى شلْب بالذات ليتخذ طريقه في البحر نحو ملك الروم الواقعة عاصمته في شرقي البحر المتوسط !

٢ / وصف الرياح في خليج غاسكوني (بسكاي)

يقول ابن دحية « فلما حاذوا الطرف الأعظم الداخل في البحر الذي هو حد الأندلس في آخر الغرب ، وهو الجبل المعروف بألوية ، هاج عليهم البحر وعصفت بهم ريح شديدة وحصلوا في الحد الذي وصف الغزال » .

إن الرياح التي عصفت بسفينة الغزال في خليج بسكاي Biscay Gulf - Golfe de Gascogne - هي معروفة من الجغرافيين وعلماء الطبيعة لتلك المنطقة من شمال إسبانيا . وقد ذكرها الغزال وأشار إلى قوتها حيث كاد يرى ملك الموت مخيماً :

وتولتنا عصوف
من جنوب وشمال

شقـت القلعـين وانبتت
عرى تلك الجِبال
وتمطـى ملك الموت
إلينـا عن حيال
فرأينـا الموت رأي العـين
حالاً بعـد حال

وجـدير بالـذكر أن بعض الدارسين حدد المكـان الـذي توقـف فيـه الـركـب لإصـلاح السفـن بأنه San Vicente de la Barquera الواقعة عند شاطيء إسبانيا الشمالية .

٣ / مسيرة الوفدين ووصولهما إلى جزر المجوس

وصف ابـن دحية وصـول الوفـدين الإسلامـي والمجوسي إلى « مستقر ملك المجـوس ، وهـي جزيرة عظيمـة في بحر المحيط فيها مياه مُطّـردة وجنـات ، وبينهـا وبـين البـرّ ثلاث مجـار ، وهـي ٣٠٠ ميل ، وفيهـا من المجـوس ما لا يحصى عددهـم . وتقـرب من تلك الجزيرة جزائر كثيرة ، منها صغار وكبار أهلهم كلهـم مجوس » .

وقد فهم دوزي بكل دقة عبارة « الثلاث المجـار »

إستناداً إلى القاموس العربي واعتبرها مسيرة ٣ أيام - ثلاث دورات شمس - كما فهم المستشرق جاكوب الثلاثمئة ميل فهماً يعني أنه ينطبق على قصد السفارة إلى بلاد الدانمرك وليس إلى إيرلندا ، على عكس الاستاذ إبراهيم العدوي الذي يعتبرها قد وجهت إلى مقر ملك المجوس في إيرلندا فيقول :

« كان ملك النورمان إسمه تورجايوس ، ويقيم في شمال إيرلندا ، التي غدت إذ ذاك مقر النورمان الذين سيطروا على سائر الجزر البريطانية ، التي انطلقت منها أولى إغاراتهم على المسلمين بالأندلس »[١]

« وركب في سفينته التي أبحرت مع رسل النورمان في سفينتهم قاصدين مقر ملك النورمان في إيرلندا[٢]

بينما يرى ستفانسون Stefansson ، إستناداً إلى الوصف الجغرافي لأرض المجوس ، إن الغزال أرسل إلى بلاط الدانمرك وقد يكون ذلك في جزيرة جوتلاند Jutland

---

(١) السفارات الإسلامية إلى أوروبا في العصور الوسطى ، سلسلة إقرأ ، رقم ١٧٩ ، دار المعارف بمصر ، ١٩٥٧ ص ١١٢

(٢) نفس المصدر ص ١١٤

٤ / وصف البركما عند ابن دحية

إن وصف الجزر في بحر الشمال منطبق على بلدان الدانمرك وسيلاند وجوتلاند وسكانيا حيث تكتظ بالسكان المجوس كما تؤكد ذلك المصادر التاريخية والدراسات عن أديان بلدان الشمال الأوروبي .

٥ / الملك الأوحد ملك الدانمرك

استنتج فابريسيوس أن ملك المجوس هو الملك الفرد الوحيد في تلك البلاد ، « le Seul et unique roi » وكون الدانمرك قد توحدت قبل غيرها في الشمال الأوروبي أمر ثبتته الأبحاث الحديثة عن تاريخ بلدان الشمال .

٦ / مظهر الفخامة والسلاح . . .

إن كون الملك حاول أن يظهر للسفير المسلم مدى قوته وعظمته عن طريق عرض الأسلحة الضخمة على أوسع نطاق ، كمظهر من مظاهر الملك ، هذا الواقع قد أثبتته الأبحاث الأثرية التاريخية ونصوص الساغا ، أساطير وقصص بلدان الشمال ، وهي صحيحة تنطبق على نفسية الشماليين وعقليتهم . فهم يفضلون دوماً إقتناء الأسلحة الممتازة

وارتداء الألبسة الجذابة . هـذا فضـلا عن أن قضية الاستعـراض الـذي ظهـر في استقبـال السفـير الغـزال بالأبطال والسلاح إنما ينطبق على بلاط الفيكنـغ أكثـر مما ينطبق على بلاد بيزنطية .

٧ / السفير الفيكنغ هل كان يمثل الملك أم كان يمثل الفيكنغ المغتصبين ؟

إذا عدنا لصلب موضوع السفارة بذاتهـا ، نلاحـظ أن ممثل الفيكنغ الذي حضر لدى الأمير عبـد الرحمـن لطلـب الصلـح والتفاهـم باسـم بلاده ، لم يكن من الفيكنـغ الـذين اجتاحـوا الأنـدلس مهما كان مقامـه ، وهـو لم يكن يمثّـل القـوات المجتاحـة إذ لم يعـرض وقف القتال مثلاً ، إنما عرض الصلـح والتفاهـم بـين ملـكين : فهـو إذن سفـير مفـوض من قبـل الملك المجوسي يتحدث باسمه لطلب الصلـح بـين الطرفـين والتفاهـم عليه وانتظـار الجـواب وحملـه إلى الملك بالذات .

٨/ إهتمام الأمير عبد الرحمن بسفارة ملك النورمان

أبدى الأمـير عبـد الرحمـن كل اهتمام بعـرض ملك

النورمان ، على عكس موقفه من ملك الروم عندما أوفد قراطيوس حيث فهم أن الغاية من سفارته هي رغبته في تحقيق مآربه عن طريق توريط الأمير عبد الرحمن بالحرب .

أما بالنسبة لسفارة النورمان ، فقد اهتم بها واستقبلها استقبالاً لائقاً بما تميز به من بعد نظر . فالاتصال بالنورمان يعرّفه عن أحوالهم وأوضاعهم وتطوير العلاقات معهم سياسياً وتجارياً أمر هام . ثم ألَم يكن ملك الفيكنغ سيد البحر من الشمال الغربي حتى شواطيء فرنسا واسبانيا ؟

٩ / لماذا اختير يحيى بن حبيب لمرافقة الغزال ؟

إن اختيار يحيى بن حبيب بالذات لمرافقة يحيى الغزال كان اختياراً موفقاً جداً . فابن حبيب كان عالماً بالفلك والطبيعة وقد اشتهر بأنه « صاحب المنيقلة » ، ووجوده في السفارة مفيد جداً لأنه يخوله درس ظروف الحياة الطبيعية في بلدان الشمال واطلاع الأمير عليها .

وما ندري إن لم يكن قد وضع ابن حبيب تقريراً للأمير أنطوى على ملاحظاته العلمية ولم يصلنا ، سيما وإن تقرير ابن دحية انصبّ في مجمله على

الناحية السياسية من السفارة وأمور الغزال مع الملك ، ومع الملكة ، ومع الناس . .

١٠ / ملك المجوس يستقبل السفير الغزال بأسرع وقت

يقول ابن دحية أن ملك المجوس ، بعد أن علم بوصول سفير الأمير عبد الرحمن وصحبه « أمر لهم بمنزل حسن من منازلهم ، وأخرج إليهم من يلقاهم . . . واستدعاهم بعد يومين إلى رؤيته » . أن ملاحظة استدعائهم بعد يومين تسترعي الانتباه إذا علمنا أن العادة المتبعة في مثل هذه الأحوال في القرون الوسطى كانت تقضي باستمهال السفير وقتاً طويلاً قبل استقباله من الملك أو الرئيس الذي اعتمد لديه . أما هنا فالحال قد اختلف إذ وجّه ملك المجوس سفارته إلى الأمير عبد الرحمن وكان بانتظار ما ستسفر عنه من نتائج ، حتى إذا تبين له أن الأمير الأندلسي لم يتوان عن التجاوب معه ومبادلته السفارة ، بادر هو بدوره إلى الاهتمام بسفارة الأمير وقرر استقبالها بأسرع وقت ، وهو اليومين ، رغبة منه في الوقوف على أخبارها وفي هذا دليل على صفة هذه السفارة « المستعجلة » بالنسبة إليه والتي تستوجب الاهتمام الفوري دون إبطاء .

١١/ قضية إخضاع السفير للركوع للملك

إذا انتقلنا الآن لبحث قضية إخضاع السفير المسلم يحيى الغزال إلى الركوع لملك بيزنطة تيوفيلس فإن ذلك ليس ببعيد على ملك مسيحي في تلك الأزمان، يعرف الأديان السماوية، ومع ذلك يريد، عبر «الأصول» في بلاطه، أن يُخضع سفيراً مسلماً لسلطانه. ومع ذلك فبالإمكان استبعاد الفكرة عن كونها صادرة عنه بالذات إذا علمنا أنه كان يخطب وُدَّ الأمير المسلم. لكن الأبعد من ذلك هي فكرة الإخضاع بالنسبة لملك المجوس، الذي لا يعرف الأديان السماوية بعد، ويريد أن يظهر هيبته وجبروته عن طريق مظهر يثير فينا اليوم الضحك بل الإشمئزاز. وعلى كلٍّ فإن فكرة الخضوع هذه كانت أشد وأقوى في «الأصول» المتبعة في بلاط النورمان أكثر مما كانت عليه في بلاط بيزنطية.

فالنورمانيون كانوا شديدي التمسك بمظاهر الأبهة والفخامة كما عرفنا. لذلك فإننا لا نستبعد أو نستغرب «اشتراط» الغزال على المسؤول عن «الأصول» في «بلاط» النورمان عدم ركوعه للملك؛ ذلك بأن له خبرةً بهذه الأمور منذ أن سفر لدى ملك بيزنطية. فهو مسلم، وممثل لأمير مسلم،

ودولة إسلامية عظيمة ، وقد كان فطناً ، ماهراً ، عندما تقدم من الملك بالشكل الذي عرفناه في تقرير ابن دحية فكان موضع دهشة وإعجاب ملك النورمان وحاشيته .

١٢ / قصة الهدية من ملك الروم للسفير الغزال والهدية التي اعتذر عنها من ملكة النورمان

ورد في المرجع الذي أشرنا إليه في سياق الحديث عن قصة الغزال مع ملك الروم بأنه طلب كأس ماء ليشرب ، وبعد أن شرب وارتوى سكب ما تبقى من الماء على الأرض ، وأخفى الكأس في كمّ عباءته ؛ ولما سأله الملك عن هذه البادرة أجاب الغزال : « إنها العادة لدى أمرائنا بأن يحتفظ السفير بالكأس الذي شرب منه » ، وإن الملك أشار إليه بالاحتفاظ بها . هنا قد يمكن الافتراض بأن الغزال أراد فعلاً الاحتفاظ بهدية نفيسة « كأس مرصّعة بالجواهر » ، وتعمّد هذه الواقعة ليصل إلى ما أراد .

أما قصته مع الملكة نود فكانت على خلاف ذلك . فبعد أن وصف الملكة بأنها مثال الحسن ، وعلمت أن قصيدته سوف تروى في جميع أنحاء بلاده ، سُرّت ، وزهيت ، وأمرت له بصلة فامتنع

الغزال من أخذها » وكان عدم أخذه الهدية موضع سؤال وردّ بينه وبين الملكة « ألأنّه حقرني » فزادها من أقواله الداهية إن اعظم هدية يتقبلها من الملكة هي السماح له بالوصول إليها . فأمرت بذلك وبأن تُحمل هديتها إلى مقره . فشكرها الغزال .

لا نريد أن نذهب مذهب الغير بنعت الغزال بالبحث عن المال . لكن الفارق شاسع بين السعي للحصول على كأس مرصعة ، ولو بطريقة داهية ، وبين الاعتذار عن هدية ملكة مقابل استمرار الاتصال بها ، وهي الملكة المتحررة بتعبيرنا اليوم ، بحيث تمكّنه صداقتها معه من المزيد من خدمة مصلحة أميره وإنجاح سفارته . ويبدو من تقرير ابن دحية أن ذلك ما حصل بالفعل . وبمجرد ازدياد شعوره بالنجاح ، ازداد الغزال لنود تقديراً ووصفاً وتقرباً ، وهذا ما أكده في قوله لابن علقمة عندما سأله : « وكان لها من الجمال في نفسها بعض هذه المنزلة التي صورت ؟ فقال : وأبيك ، لقد كانت فيها حلاوة ، ولكني اجتلبت بهذا القول محبتها ، ونلت منها فوق ما أردت » .

وقد علق النّ على هذا الحديث تعليقاً طريفاً بقوله : « إن هذا الكلام يعني إنه نجح في مهمته

السياسية نجاحاً باهراً، عبر دهائه في مدح أميرة بربرية من أميرات تلك البلدان النائية. وما الذي ناله وعبّر عنه بأنه «فوق ما أراد»؟ الجواب على ذلك كان في تطور العلاقات التجارية بين قرطبة والفيكنغ وهو أمر ثابت في النصوص التاريخية»[1].

١٣ / حول حديث الغزال مع نود

كانت أحاديث الغزال مع الملكة نود:

آ ـ أحاديث امرأة «متحررة» بلغة اليوم، تنطبق على نود النورمانية المنطلقة ولا تنطبق على ملكة الروم المتحفظة، زوجة رجل اشتهر بقساوته وكان فظاً، غليظ القلب، سيء النية نحوها بدليل ما حفظ لنا التاريخ من أنه كان يبعث من يتجسس عليها ويحصي له عليها خطواتها.

ب ـ وبينما كان الفيكنغ يغرمون ببناء القصور المتفرقة ـ وقد أنزل السفير الغزال في إحداها كما رأينا ـ كما أثبتته الحفريات الأثرية في بلدان الشمال، فقد كانت الملكة نود الحرة تبقى بعض الوقت لذاتها في قصرها وهذا مما يثبت أنها كانت تطارح الغزال الأحاديث بحريّة كحديثهما عن الختان

(١) ألنْ ص ٥٣

مثلاً ، وإنها كانت تفد هي عليه إلى مقرّه فتجالسه وتستمع إلى ما كان يحدثها به عن الإسلام والمسلمين وعاداتهم وعقيدتهم وحياتهم .

وإذا تطرقنا قليلاً إلى قضية الختان نقول إن السؤال حولها هو أولى أن يصدر عن ملكة النورمان المجوسية ، من أن يصدر عن ملكة الروم المسيحية الشرقية التي تعرف هذه الأمور مبدائياً ، بل وانّى لها ـ يمكن القول ـ أن تجرؤ على مباحثة السفير المسلم بهذا الأمر أمام زوجها الملك القاسي العنيف . ولا ننسى هنا قول الملكة نود للغزال عن علاقة المرأة بالرجل الفيكنغ « ليس في ديننا نحن هذا ، ولا عندنا غيرة ، ولا نسؤنا مع رجالنا إلا باختيارهن ، تقيم المرأة معه ما أحبت ، وتفارقه إذا كرهت . . . . الخ . . . »

يقول الأستاذ الدكتور إحسان عباس « ولئن غلب العنصر النسائي على قصص تلك الرحلة أو افتتان الغزال بزوجة الملك واسمها ـ تود أو نود ـ تصنعاً لا حقيقة ، فذلك يدل على دهائه في التقرب إلى القلوب ، وإجادته السفارة السياسية »

١٤ / إنّي تعلّقت مجوسيةً . . .

يستدل من هذه القصيدة أن الملكة التي صادقها

السفير الغزال هي الملكة نود ، ملكة الفيكنغ ، المجوسية ، القاطنة « في أقصى بلاد الله » تلك التي قابلها وقابلته مراراً بكل حرية وتحدثت إليه وتحدث إليها فقال فيها :

إني تعلقت مجوسيةً
تأبى لشمس الحسن أن تغربا
أقصى بلاد الله في حيث لا
يُلقي إليها ذاهب مذهبا

إنها ليست ملكة الروم إذن .

١٥ / صحة إنطباق أخبار تقرير ابن دحية على الأوضاع في بلدان الشمال

يتبين من هذه الملاحظات والمقارنات التي سقناها ومن فحوى تقرير ابن دحية عن سفارة الغزال أن كل ما جاء فيه من المعلومات الجغرافية والاجتماعية ينطبق على الحقيقة التي نعرفها اليوم عن بلدان الشمال في ذلك العصر القديم : عبادة المجوس ، الافتتان بألعاب القوى ، علاقة المرأة بالرجل خصوصاً إذا كانت من الطبقة التي نطلق عليها اليوم إسم « الأرستوقراطية » ، الزواج ، الطلاق ، الزواج من الأم ، ومن الأخت ، الخ . . .

فلقد أقرّ ألن « بأن أخبار الغزال عن سفارته هذه مليئة بالمعلومات » وأضاف فابريسيوس على هذا القول : « إن ملاحظات الغزال عن بلدان الشمال ـ وهي الوحيدة المتوفرة والمستندة إلى رحلة قام بها فعلاً رجل عربي إلى تلك الأصقاع ـ تؤكدها وقائع تاريخ الشمال الثابتة » .

١٦ / استحق الغزال الثناء

ومع كل ما يستحق الغزال من الثناء على ما حققه في هذه السفارة من نجاح ، فإنه ظل السفير المخلص لمهمته ولأميره قبل كل شيء . فقد تحدث عن كثير من الأمور التي أضحت مصدر معلومات عن بلدان المجوس ، لكنّه لم يتطرق أبداً للحديث عن جوهر موضوع سفارته وإفشاء أسرارها أبداً . ولئن كان ذلك قد يعتبر خسارة للتاريخ فإنه يعتبر بالنسبة للغزال شرف عظيم . فقد كلف بمهمة عظيمة ، عويصة ، شائكة ، وليس من المعقول أن يروي نتائجها للناس بل للأمير فقط ، واكتفى من الحديث مع الناس أن حدثهم عن الفيكنغ والملكة نود « صديقته » الخ . . . .

١٧ / نهاية المطاف

نأتي هنا إلى نهاية المطاف وهي عودة الغزال إلى بلاده. يقول ابن دحية أن الطريق التي اتبعها الغزال كانت طبعاً اتخاذ البحر فوصل إلى شنت يعقوب Santiago de Compostela Saint Jacques de Compostelle التي تطل على الأطلنطيك عند أقصى الساحل الشمالي الغربي لشبه الجزيرة الايبرية. وكانت هذه المدينة محجاً يحج إليها المسيحيون، فأقام عند صاحبها، وهو الملك رامير الأول Ramiro 1er ٢٣٦ هـ/ ٨٥٠ م مكرّماً شهرين، «حتى انقضى حجّهم» ومنها دخل إلى منطقة قشتالة Castilla وهي في قلب شبه الجزيرة، ثم توجه منها إلى طليطلة Toledo - جنوبي (مجريط) - مدريد ومنها انتقل إلى قرطبة العاصمة Cordoba - مقر الأمير.

فلو لم تكن هذه السفارة إلى بلاد النورمان المجوس فهل يعقل أن يمر السفير في ذهابه وإيابه بالمدن التي ذكرناها في مطلع ونهاية هذه الدراسة للتقرير عن السفارة، وخاصة عودته عن طريق شنت يعقوب، وبقائه فيها، حيث نظم الأرجوزة الفقيدة،

على حد قول بروكلمان ، ثم دخوله البلاد براً إلى منطقة قشتالة ، فمدينة طيلطلة فالعاصمة قرطبة ؟!

*

١٨ / نعم سَفَرَ الغزال إلى بلاد النورمان

بعد أن درسنا كل ما دار حول سفارة الغزال إلى بلاد النورمان ، وعرفنا موقف المستشرقين وغيرهم منها ، نشير إلى أن المستشرق دوزي لم يشك بصحة قصة هذه السفارة وجاراه في ذلك عدد كبير من المؤرخين ، وذلك دوماً بالاستناد إلى الوقائع الصريحة الواردة عنها ، ولدرجة أنهم راحوا يحددون مقر ملك النورمان وفي أي بلد هو أفي الدانمرك ؛ أم في إيرلندا ؟ الخ . . .

ولن نعدو الحقيقة إذا اعتقدنا بهذا الأمر ما اعتقده ، على حق ، الأستاذ إحسان عباس حيث يرى « أن ثمة سفارتين للغزال إحداهما لدى ملك الروم في القسطنطينية ، والأخرى لدى ملك النورمان »[١] وقد اعتمد هذا الرأي أيضاً البحاثة الدكتور محمد رضوان الداية [٢] وأكد ذلك الأستاذ

---

(١) تاريخ الأدب الأندلسي ، عصر سيادة قرطبة ، ص ١١٥

(٢) مختارات من الشعر الأندلسي ، ص ١٧ وما يليها

محمد عبد الله عنان[1] حيث أشار إلى أن الغزال أوفد في سفارتين مختلفتين إحداهما إلى القسطنطينية والأخرى إلى الدانمرك » .

(١) دولة الإسلام في الأندلس ط ٢ ص ٢٧٨/ ٢٨٠

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

وفاة الغزال

هكذا تنتهي أمجاد هذا العالم ! عاش الغزال قرابة قرن حافل بالأعمال الجليلة ، والمغامرات الشيقة ، وعايش الملوك والأمراء ، وانغمس في حياة القصور ، وقارع العلماء والفقهاء ، وجادل الحسّاد والمتنطعين ، ودرس النفس البشرية وتعمق في فهمها ، وزهد في الحياة فتناثر لديه معنى الأمجاد ، ولم يذلّ نفسه ، واحتفظ حتى نهاية أيامه بعزة النفس التي تميز الإنسان المسلم « وللَّهِ العزَّةُ ولِرَسُولِهِ ولِلْمؤْمِنِينَ »[1]

وهو القائل وكأنه يرثي نفسه :

أنظر إليّ إذا أدْرِجْت في كفن
وانظر إليّ إذا أدرجتُ في اللحد
واقعد قليلاً وعاين من يقيم معي
ممن يُشَيِّع نعشي من ذوي وُدّي
هيهات كُلُّهُمُ في شأنه لعب
يرمي التراب ويحثوه على خدّي

*

« وَمَا الْحَياةُ الدُّنيا إلاّ مَتَاعُ الغُرورِ [2]

(١) القرآن الكريم آية ٨ سورة المنافقون رقمها ٦٣
(٢) القرآن الكريم آية ١٨٥ سورة آل عمران رقمها ٣

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

ماذا قالوا في الغزال ؟

ـ كان شاعر الأندلس المقدم على جميع شعراء هذه الفترة (يعني شعراء القرن الثالث الهجري) .

الدكتور إحسان عباس
ـ تاريخ الأدب الأندلسي ،عصر سيادة قرطبة ـ ص ١١٨

ـ كان منجماً حكيماً ، وشاعراً مشهوراً .

الدكتور محمد رضوان الداية
ـ مختارات من الشعر الأندلسي ـ ص ١٧

ـ كان سفير عبد الرحمن إلى الأمبراطور ، شاعر عظيم هو يحيى الغزال ، من كبار أهل الدولة ، وكان مشهوراً في الشعر والحكمة .

علي محمد حمودة
ـ تاريخ الأندلس ـ، ص ١٦٢

- انتدب (عبد الرحمن) لسفارته رجلاً ذكياً حاضر البديهة لطيف المدخل توافرت له الكثير من صفات السفراء التي حرصت عليها قواعد اللياقة الإسلامية وكان هذا السفير هو يحيى الغزال الذي اشتهر بأنه « حكيم الأندلس وشاعرها » .

الدكتور إبراهيم أحمد العدوي
- السفارات الإسلامية إلى أوروبا في العصور الوسطى - ص ١١٣

- كان الغزال أظهر شعراء عصره .

محمد خليفة التونسي ،
- الغزال شاعر الأندلس -، مجلة العربي عدد ٢١٢ ص ١٣١ يوليو ١٩٧٦

- كان الشاعر يحيى بن حكم الغزال بليغ الأندلس في زمنه .

القاضي عياض ،
- الشفا بتعريف حقوق المصطفى - جزء ١ ص ٢٧٥

- يحيى الغزال شاعر وفيلسوف وسياسي .

عبد الله بن خميس
- قافلة الزيت - شوال ١٣٩١ ، نوفمبر ١٩٧١ ، ص ٤٠

ـ أشاد به المؤرخون قديماً وحديثاً ويكاد يجمع المؤرخون شرقاً وغرباً أن الغزال كان سفيراً نموذجياً عظيماً .

الغزالي حرب
ـ قافلة الزيت ـ رجب ١٣٨٨ ، اكتوبر ١٩٦٨ ، ص ٢٤

ـ السفير الحصيف اللبق يحيى بن الحكم الغزال . . . كان خير السفير ـ

الدكتور عبد الرحمن زكي
ـ مجلة الفيصل ـ ، مقال اشبيلية ص ٣٨

ـ شاعر متمكن ذو مقدرة تعبيرية أدبية عالية .

الأستاذ الدكتور حكمة علي الأوسي
ـ فصول في الأدب الأندلسي ـ، ص ٩٧

ـ الغزال رئيس ، كثير القول ، مطبوع النظم في الحِكَم والجد والهزل .

الحميدي ،
ـ جذوة المقتبس ـ

ـ كان الغزال حكيم الأندلس وشاعرها وعرّافها .

ابن حيان
ـ المقتبس ـ

ـ الغزال شاعر الأمير عبد الرحمن الثاني .

بروكلمان ،
ـ تاريخ الأدب العربي ـ، جزء ٢ ، ص ١٠٤

ـ كان رجلاً حكيماً أرسله عبد الرحمن الأوسط في سفارة إلى بلاط ملك النورمانيين .

غونزالس بالانسيا
ـ تاريخ الفكر الأندلسي ـ، ص ٥٥

ـ الغزال زعيم شعراء عصره .

الدكتور بدير متولي حميد
ـ قضايا أندلسية ـ، ص٣٨٦

ـ القاعد علي كيوان ، شاعر ذلك الأوان .

ابن دحية
ـ المطرب من أشعار أهل المغرب ـ

ـ الغزال شاعر وسياسي أندلسي .

ـ الموسوعة العربية الميسرة ـ ، ص ١٢٥٤

ـ شاعر مطبوع من أهل الأندلس .

خير الدين الزركلي
ـ الاعلام ـ

ـ كان الغزال حكيم الأندلس وشاعرها وعرافها .

المقري
ـ نفح الطيب ـ ، ٣٥٨/٧

ـ هذه الشخصية تبدو من أعجب شخصيات القرن التاسع الميلادي (الثالث للهجرة) .

ليفي بروفنسال

ـ كان من أشهر شعراء عصره .

ر. دوزي

ـ إنه يبدو من أعجب الشخصيات حيث وضعناه بين الرجال في شتى العصور والبلاد والأمم .

محمد خليفة التونسي
ـ العربي ـ، ٢١٢ ، ص ١٣٥

ـ يحيى الغزال ، رئيس أول بعثة دبلوماسية تمثل أميراً مسلماً لدى ملك أوروبي .

الدكتور محود السمرة
ـ العربي ـ ٥١ ، ص ١٣٥

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

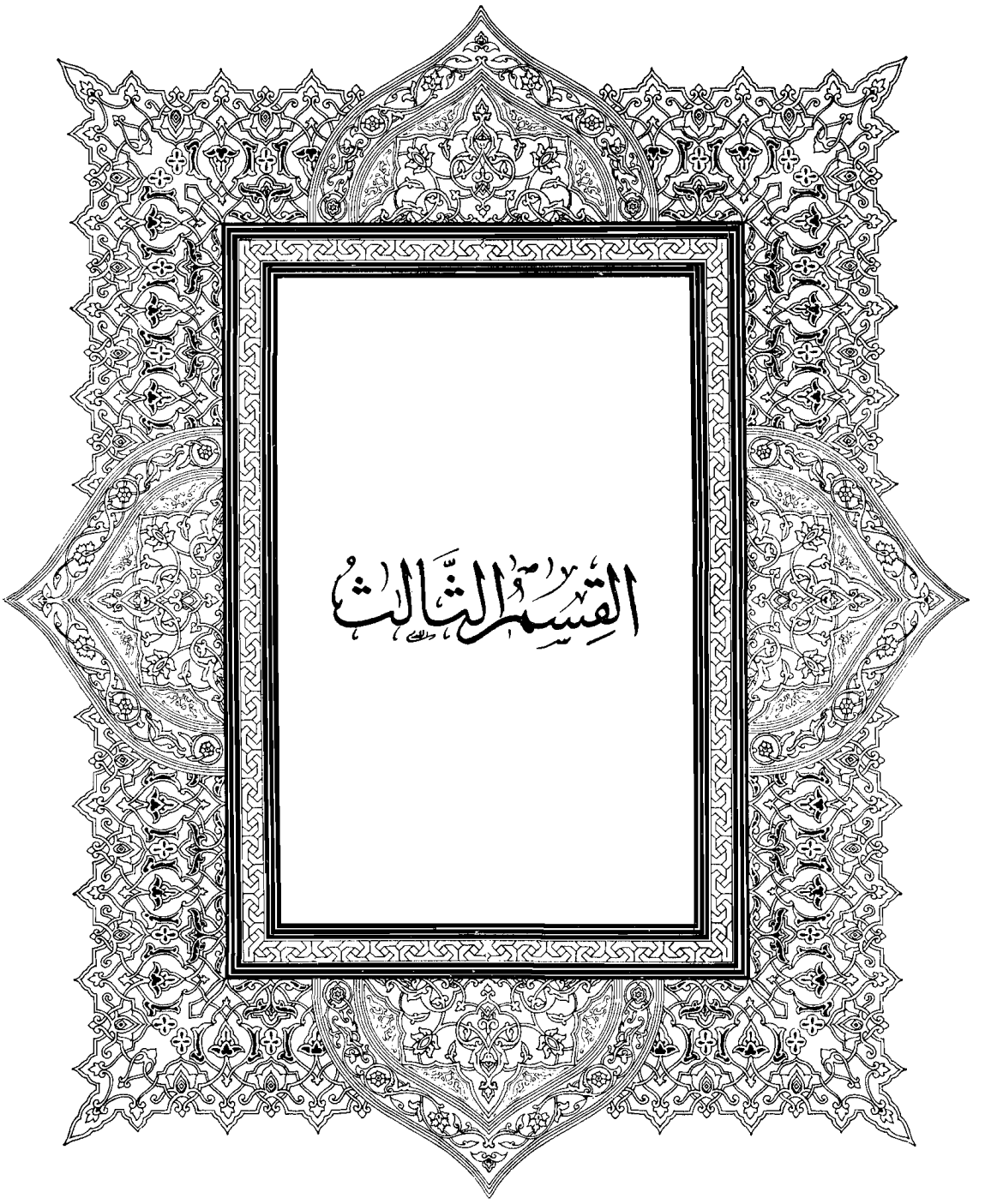

القسم الثالث

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

من شعر الغزال

يحيي بن الحكم البكري الجيّاني
شاعر الأندلس وسفيرها

١٥٠ ـ ٢٥٠ هـ
٧٧٠ ـ ٨٦٤ م

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

من شعر الغزال

نثبت في الصفحات التالية ما أمكن تقصّيه من شعر الغزال المتناثر في شتى المراجع ، وفي إعتقادنا أنه أقصى ما عثر عليه حتى اليوم ، ويعود الفضل الأول في جمع منظوم الغزال إلى الأستاذ الدكتور حكمة علي الأوسي .

ولقد تحرّينا في بعض المكتبات العالمية عمّا إذا كان بين مجموعاتها شيء من المخطوطات القديمة بموضوع الغزال ولمّا تنشر فلم نقف على شيء من ذلك .

وإننا نرحب بكل نبأ يمكن الباحثين الوصولَ إليه عن اكتشاف قصائد أو أبيات من منظومات للغزال غير معروفة .

وفيما يلي ثبت بالمراجع الرئيسية التي عدنا إليها في هذا المجال :

- فصول في الأدب الأندلسي
- المطرب في أشعار أهل المغرب
- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب

ـ جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس
ـ التشبيهات من أشعار أهل الأندلس
ـ بهجة المجَالس وأنس المُجالس
ـ بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس
ـ العقد الفريد
ـ يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر
ـ البيان المُغرب في أخبار أهل الأندلس والمغرب
ـ التكملة لكتاب الصلة
الخ . . . . الخ . . . .

ونلفت النظر إلى أن مجموعة القصائد والأشعار التالية مرتبة وفق تسلسل الأحرف الهجائية بالنسبة للقافية ، ولقد شرحنا عدداً ضئيلاً من المفردات التي قد تغيب معانيها عن بعض المطلعين .

*

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

١ ـ حرف الهمزة

١ ـ ولّما رأيتُ ٱلشَّرْبَ اكْدَت سَمَاؤُهُـمْ
تأبَّطْـتُ زِقِّـي واحْتَسَبْـتُ عَنَائِي

٢ ـ فَلَمَّا أتيتُ ٱلحانَ ناديْتُ ربَّـهُ
فثابَ[١] خَفِيفَ الرُّوحِ نَحْوَ نِدائِي

٣ ـ قَلِيلَ هُجُوعِ ٱلعَيْنِ إلاَّ تَعِلَّـةً
عَلَى وَجَـلٍ مِنِّـي وَمِـنْ نُظَرَائِي

٤ ـ فَقُلْتُ: أَذِقْنِيهـا، فلمَّا أذاقنـي
طرحْـتُ عَلَيْهِ رَيْطَتِـي[٢] وَرِدَائِي

٥ ـ وقُلتُ أَعِرْنِي بِذْلَةً أَسْتَتِـرْ بِهَـا
بَذَلْـتُ لَهُ فِيهَـا طَلاقَ نِسائِي

٦ ـ فَوَاللَّـهِ مَا بَرَّتْ يَمِينِي، ولاَ وَفَتْ
لَهُ، غَـيْرَ أَنِّـي ضَامِـنٌ بِوَفَائِي

٧ ـ فَأُبْـتُ إلى صَحْبِي ولَـمْ أَكُ آئِبـاً
فَكُلٌّ يُفَدِّينِـي وَحُـقَّ فِدَائِي

---

(١) ثاب = عاد ، رجع

(٢) الريطة = كسوة كالملاءة أو كالعباءة تلبس فوق الرداء

(٢)

١ ـ تَدَارَكْتُ فِي شُرْبِ النَّبِيذِ خَطَائِـي
وَفَارَقْـتُ فِيهِ شِيمَتِـي وَحَيَائِي

(٣)

١ ـ قصدتُ بمدحي جاهداً نحو خالدٍ
أُؤَمِّـلُ من جدواهُ فوقَ مُنَائِي
٢ ـ فلَمْ يُعطني من مالـه غـيرَ درهمٍ
تكَلَّفَـهُ بعـد انقطـاعِ رجائي
٣ ـ كما اقتلع الحجّـامُ ضِرساً صحيحةً
إذا استخرجـت من شدةٍ ببكاءِ

٤ ـ حرف الباء

١ ـ بَعضَ تَصابيبـكَ على زَينـب
لا خَـيرَ في الصَّبـوة للأشْيَب[١]
٢ ـ أبعـدَ خمسـينَ تَقَضَّيتهَـا
وافيةً تَصْبـو إلى الرَّبْربِ[٢]

(١) الصبّوة = لهو الصبية ـ الصبيان ، وجهلتهم . .
(٢) الربرب = قطيع بقر الوحش ، وهنا المقصود الحسناوات من النساء

٣ ـ فارعةَ الجسم هضيمُ الحشا
كالمُهرةِ الضَّامِر لمْ تُرْكَبِ
٤ ـ أوْ دُرَّةٍ ساعةَ آستُخْرِجَتْ
لم تُمتَهن بعدُ ولم تُثْقَبِ
٥ ـ مُشْرَبَةُ اللَّونِ مُتُوعَ الضُّحى
صفراء بالآصال كالمُذْهَبِ[1]
٦ ـ مَن مُبلغٌ عنِّي إمامَ الهُدى
الوارثَ المجد أباً عن أبِ
٧ ـ أنِّي إذا أطْنَبَ مُدَّاحُهُ
قَصَدْتُ في القولِ فلمْ أُطْنِبِ
٨ ـ لا فكَّ عنِّي اللهُ إنْ لم تكن
أذكرتَنَا من عُمَرَ الطَّيِّب
٩ ـ وأصبح المشْرِقُ من شوقه
إليك قد حَنَّ إلى المغرب
١٠ ـ منبرُه يهتفُ من وَجْده
إليك بالسَّهل وبالمَرْحبِ
١١ ـ أطرَبَهُ الوقتُ الذي قد دنا
وكان من قبلك لم يَطربِ
١٢ ـ هَفَا به الوجدُ فلو منْبرٌ
طَارَ لَوافَى خَطْفَةَ الكوكَبِ

---

(١) متوع الضحى = وقت ارتفاع الضحى

١٣ ـ إلى جميلِ الوجهِ ذِي هَيبةٍ
ليست لحامي الغابةِ ٱلمُغْضَبِ
١٤ ـ لا يُمكنُ النّاظرَ من رؤية
إلاَّ التماحَ الخَائفِ المُذْنِب

وجاء في نهايتها :

١٥ ـ إن تُرد المالَ فإنّي أمرؤٌ
لم أجمَعِ ٱلمالَ ولم اكْسِبِ
١٦ ـ إذا أَخَذْتَ الحقَّ مِنِّي فلا
تَلتَمِس الرِّبح ولا تَرْغَبِ
١٧ ـ قَد أحسنَ اللّهُ إلينا معاً
إن كان رأسُ المال لمْ يذهَبِ

(٥)

١ ـ كُلِّفْتَ يا قلبي هوى مُتْعِبا
غالَبْتَ منه الضَّيْغَمَ الأغْلَبَا
٢ ـ إنِّي تَعَلّقْتُ مجوسيةً
تأبى لشمس الحسن أن تغربا
٣ ـ أقصَى بلادِ اللّهِ في حيثُ لا
يُلفِي إليه ذاهب مذهبا

٤ ـ يَا نُودُ يا رُودَ الشبـــابِ[1] الَّتِـــي
تُطْلِـــعُ من أَزْرارهـــا الكَوْكَبَا
٥ ـ يا بأبي الشَّخْصَ الّذِي لاَ أرَى
أحْلَىَ على قلبِـــي ولا أعْذبَا
٦ ـ إن قلتُ يوماً أن عيْنِي رأتْ
مُشْبِهَـــهُ لم أعْـــدُ أن أكْذبَا
٧ ـ قالـــتْ: أرى فَوْدَيْهِ قد نَوَّرا
دُعَابـةً توجـــبُ أن أَدْعَبَا
٨ ـ قلـــت لهـــا: ما بَألُـــهُ إنـــه
قد يُنْتِـــجُ ٱلْمُهْـــرُ كَذَا أَشْهَبَا
٩ ـ فاسْتضْحكَت عُجْباً بقوْلِي لَهَـا
وإنَّمـــا قلـــتُ لِكَيْ تَعْجَبَا

(٦)

١ ـ بكَرَتْ تُحَسِّنُ لِي سَوَادَ خِضَابِـي
فَكَأنَّ ذاكَ أعادَنِـــي لشبَابِي !

٢ ـ ما ٱلشَّيْبُ عندِي والخِضَابُ لِواصِفٍ
إلاَّ كَشَـــمْسٍ جُلِّلَـــتْ بِضَبَابِ

(١) رؤد الشباب ، الرؤد والرؤدة أي ذات الجسم الناعم ويقال رأد الضحى يعني ارتفاع الشمس . ومعنى البيت يا من أنت في عز الشباب ويا لك من صبية ناعمة

٣ ـ تَخْفَى قَليلاً ثمَّ يَقْشَعُها الصَّبَـا
فَيَصِـيرُ مَا سُتِـرَتْ بِهِ لِذَهَابِ

٤ ـ لاَ تُنْكِرِي وَضَحَ الْمَشيبِ فإنَّمَـا
هُوَ زَهْـرةُ الأَفْهـامِ والأَلْبَابِ

٥ ـ فَلَـدَيَّ ما تَهْـوَيْنَ مِنْ شَأنِ الصِّبَـا
وَطُـلاوَةِ الأخـلاقِ والآدابِ

(٧)

١ ـ ١ ـ لم أنْسَ إذ برزتْ إليَّ لَعـوبُ
طَرَبـاً وحيثُ قميصُهـا مَقْلوبُ[١]

٢ ـ وكأنهَّا في الدَّار حينَ تعرَّضتْ
ظَبْـيٌ تَدلَّـه بالفَـلا مَرْعوب[٢]

٣ ـ تَفْتَـرُّ عن دُرٍّ تَناسـقَ نَظْمُـه
فيه لَثَـاةٌ عَذْبَـةٌ وغُرُوب[٣]

٤ ـ حاولـتُ منهـا رَشْفَـةً فكأنهـا
عَسَـلٌ بمـاءِ سَحَابـةٍ مَقْطوب[٤]

٥ ـ ودعتْك داعيةُ الصِّبا فتطرَّبـتْ
نَفسٌ إلى داعـي الضَّـلال طَرُوب

(١) نثبت هذه القصيدة كما وردت في مرجعين نظراً لكثرة الاختلاف بينهما
(٢) تدلّه = احتار من الهوى
مرعوب = مفزع
(٣) اللثاة = هنا يقصد الريق
الغروب = الأسنان الجميلة المحددة
(٤) مقطوب = ممزوج ، مخلوط

٦ ـ وظننتَ عهدَكَ عهدَها في الدّهر إذ
فَيْنانُ غُصنك بالشباب رَطيب
٧ ـ فجريتَ في سَنَن الصِّبا شأواً وقد
وزَعْتك عنه كَبْرةٌ[١] ومَشِيب
٨ ـ وحسبتَ صاحِبَك الذي هو ذاك إذ
تدعوه مهما شِئْتَه فَيُجيب
٩ ـ قد كان لا يَنْبو إذا جَرَّبْتَه
فالآنَ أحداثُ الزمانِ تَنوبُ
١٠ ـ لما رأتْ ذاك الذي تَنْحُو له
سَمَحَتْ فمالَ على الكَثيبِ قَضِيبُ
١١ ـ وتأوَّدتْ خُمْصَانَةٌ بَهْنانَةٌ
كالفَجْرِ يعلوه دُجىً غَربيب[٢]
١٢ ـ فقبضتُ مِلء يدي على مُسْتَهدِف
رابي المَجَسَّة لونُه حلبوب[٣]
١٣ ـ بيدي الشِّمال وللشِّمال لطافَةً
ليستْ لأُخرى والأديب أريب[٤]

(١) الكبرة = الطعن في السن
(٢) تأودت = تقلبت
خمصانة = ذات بطن ضامر
بهنانة = طيبة النفس والأرج
غربيب = أسود حالك إشارة إلى شعرها
(٣) حلبوب = أشد اسوداداً ، أسود قاتم
(٤) أريب = المتبصر ، الماهر

١٤ ـ فتقاعَسَ الملعونُ عنه وإنَّني
لأكادُ من فَرْط الحياءِ أذُوب

١٥ ـ وأبَى كَعَيرِ السَّوْء إلاَّ وَقْفَةً
أخْزَى بها والوِرْدُ منه قَرِيب

١٦ ـ فكأنه مما تَشَنَّج جِلْدُه
كِيرٌ تقادم عَهْدُه مَثْقوبُ

ب ـ ١ ـ خَرَجَتْ إليكَ وثوبُها مقلوبُ
ولِقَلْبها ـ طَرَباً إليْكَ ـ وَجيبُ

٢ ـ وكأنَّها في الدّارِ حينَ تعرَّضَتْ
ظَبْيٌ تَغَلَّل بالفَلاَ مَرْعُوبُ

٣ ـ وَتَبَسَّمَتْ فاتَتْكَ ـ حِينَ تبسَّمَتْ
بِجُمَانِ دُرٍّ لمْ يَشِنْهُ ثُقُوبُ

٤ ـ وَدَعَتْكَ دَاعِيَةُ الصِّبَا فَتَطَرَّبَتْ
نَفْسٌ إلى داعي الضَّلالِ طَرُوبُ

٥ ـ حَسِبَتْكَ في حالِ الغَرَامِ كَعَهْدِهَا
في الدار إذْ غُصْنُ الشَّبابِ رَطِيبُ

٦ ـ وَعَرَفْتُ مَا في نَفْسِهَا فَضَمَمْتُهَا
فَتَسَاقَطَتْ بَهْنَانَةٌ رُعْبُوبُ[1]

(١) رعبوب = مسترخية ، ناعمة .

٧ ـ وَقَبَضْتُ ذاكَ الشَّيءَ قَبْضَـةَ شَاهِنٍ
فَنَـزَا إِلَيَّ عَضَنَّـكٌ حُلْبُوبُ[١]

٨ ـ بِيَدي الشِّمَالِ، وللشِّمال لَطَافَةٌ
لَيْسَـتْ لأُخْـرَى والأَدِيبُ أَرِيبُ

٩ ـ فَأَصَـابَ كَفِّي مِنْـهُ حِـينَ لَمَسْتُـهُ
بَلَلٌ كماءِ الـوَرْدِ حِـينَ يَسِيبُ

١٠ ـ وَتَحَلَّلَتْ نَفْسِي لِلَـذَّةِ رَشْحِـهِ
حَتَّـى خَشِيتُ عَلَى الفُـؤَادِ يَذُوبُ

١١ ـ فَتَقَاعَسَ المَلْعُونُ عَنْـهُ وَرُبَّمَـا
نادَيْتُـهُ: خَـيْراً، فَلَيْسَ يُجِيبُ

١٢ ـ وَأَبَى ، فَحَقَّـقَ فِي الإِبَـاءِ، كأَنَّـهُ
جانٍ يُقَـادُ إلى الـرَّدَى مكرُوبُ

١٣ ـ وَتَغَضَّنَـتْ جَنَبَاتُـهُ فَكأَنَّـهُ
كِيرٌ تَقَـادَمَ عَهْـدُهُ مَثْقُوبُ

١٤ ـ حتـى إِذَا مَا الصُّبْـحُ لاَحَ عَمُـودُهُ
قَبَسـاً، وَحَـانَ مِنَ الظَّـلامِ ذُهُوبُ

١٥ ـ سَاءَلْتُهَا خَجِلاً: أَمَـا لكِ حَاجَـةٌ
عنـدي!؟ فقالـتْ: سَاخِـرٌ وَحَرُوبُ

١٦ ـ قَالَتْ حِرُ أُمِّكَ، إِذ أَردْتُ وَدَاعَهَا
قَرِنٌ وفيهِ عُوَارِضٌ وشُعُوبُ

---

(١) شاهن = قد يكون المقصود طير الشاهين الجارح
عضنّك = الغليظ الشديد والفرج المكتنز

(٨)

١ ـ لاَ وَمَنْ أَعْمَلَ ٱلمَطَايَا إلَيْهِ
كُلُّ مَنْ يَرْتَجِي إليْهِ نَصيبَا
٢ ـ ما أرَى هَهُنَا من النَّاسِ إلاَّ
ثعلباً يَطْلُبُ الدَّجَاجَ وَذِيبَا
٣ ـ أو شبيهاً بالقِطِّ ألقَى بعَيْنيْـ
ـهِ إلى فأرةٍ يرُيدُ الوُثوبَا

(٩)

١ ـ وَمُرَاءٍ أَخَذَ النَّاسَ بِسَمْتٍ وقُطُوبِ
٢ ـ وخُشُوعٍ يُشْبِهُ السُّقْمَ وَضَعْفٍ في الدَّبيبِ
٣ ـ قلتُ : هَل تألم شيئاً ؟
قال : أثقالَ الذنوبِ
٤ ـ قلتُ: لا تُعْنَ بشيءٍ
أنتَ في قَالَبِ ذِيبِ
٥ ـ إنما تبني على الوثـ
ـبة في حال الوثوبِ
٦ ـ ليس من يخفى عَلَيْهِ
منك هَذَا بِلَبِيبِ

(١٠) ـ حرف التاء

مما قال الغزال في هجاء إمرأة :

١ ـ جرداءُ صلعاءُ لم يُبقِ الزمانُ لها
إلا لساناً مُلِحاً بالملامات

٢ ـ لطمتها لطمةً طارتْ عمامتها
عن صلعةٍ فيها خمسُ شعرات

٣ ـ كأنها بيضةُ[١] الشاري إذا برقت
بالمأزقِ الضنكِ بين المشرفيات

٤ ـ لها حروفٌ نواتٍ في جوانبها
كقِسمَةِ الأرضِ حيزت بالتخومات

٥ ـ وكاهلٌ كسنامِ العيسِ جرَّدَهُ
طولُ السِّفار وإلحاحُ القتودات[٢]

---

(١) البيضة = هنا بمعنى الخوذة
(٢) القتودات = من القتد أي خشب الرَّحْل

(١١) حرف الحاء

١ ـ إذا أُخبِـرتَ عن رجل بريء
من الآفـات ظاهـرُه صحيحُ
٢ ـ فسَلْهم عنـهُ هل هو آدمـيٌّ
فإن قالـوا نعـم فالقـولُ ريح
٣ ـ ولـكن بعضَنـا أهـلُ استتـار
وعنـدَ الله أجمعُنـا جريحُ
٤ ـ ومـن إنْعـام خالِقِنـا علينـا
بأن ذنوبنَـا ليسـت تفوُح
٥ ـ فلـو فاحـت لأصبحْنـا هروبـاً
فُرادَى بالفـلا ما نستريح
٦ ـ وضـاق بكل منتحِـلٍ صلاحـاً
لنتْـنِ ذنوبـه البلـدُ الفسيحُ

(١٢) حرف الدال

١ ـ أصبحتُ واللّهِ محسوداً على أمدٍ
من الحياةِ قصـيرٍ غـيرِ ممْتَدِّ
٢ ـ حتى بقيتُ بحمدِ اللّهِ في خَلَفٍ
كأننّـي بينهـمْ من خَشْيةٍ وحديِ

٣ ـ وما أفارقُ يوماً من أفارقُهُ
إلا حسبتُ فراقي آخرَ العهدِ
٤ ـ انظرْ إليَّ إذا أُدْرِجْتُ في كَفَنٍ
وانظرْ إليَّ إذا أُدْرِجْتُ في اللحد
٥ ـ واقعدْ قليلاً وعاينْ من يقيمُ معي
ممّنْ يُشَيِّعُ نَعْشِي مِنْ ذوِي وُدِّي
٦ ـ هيهاتِ، كُلُّهُمُ في شأنِهِ لَعِبٌ
يرمي الترابَ ويحثوهُ على خدِّي

(١٣)

١ ـ ولَبسٍ كثوبِ القسِّ، جُبتُ سوادهُ
على ظَهرِ غربيبِ القميصِ نآدِ[١]
٢ ـ قد استأخرتْ أردافُهُ ومَضتْ له
غواربُ في آذيِّهِ وهوادِ[٢]
٣ ـ له ظلماتٌ بعضُها فوق بعضها
دآديء موصولٌ بهنَّ دآدي[٣]

(١) لبس = اختلاط الظلمة ، تفاوت .
غربيب = أسود كالغراب وهنا يقصد السفينة
النآد = الداهية ، المصيبة
(٢) غوارب = جمع غارب أي الظهر .
الهوادي = الأعناق (٣) الدآدي = آخر ثلاث ليال من الشهر

٤ ـ يبيتُ بها الملاّحُ من حَذَر الرّدى
مُلازمَ صاريه لزومَ قُرادِ[١]

(١٤)

١ ـ قالتْ: احبُّكَ، قُلْتُ: كَاذِبَةٌ
غُرِّي بذا مَنْ لَيْسَ يَنْتَقِدُ
٢ ـ هذَا كلامٌ لستُ أَقْبَلُهُ
الشيخُ ليسَ يُحِبُّهُ أحدُ
٣ ـ سِيَّانِ قَوْلُكِ ذا وقولُكِ
إنَّ الريحَ نَعقِدُهَا فَتَنْعَقِدُ
٤ ـ أوْ أنْ تَقُولِي: آلنَّارُ باردةٌ
أوْ أنْ تَقولِي: آلْمَاءُ يَتَقِّدُ

(١٥)

١ ـ كأن الملوك الغلب عندك خضعا
خواضع طير يتقي الصقر لُبَّد[٢]
٢ ـ تقلب فيهم مقلة حكمية
فتخفض أقواماً وقوماً تسود

---

(١) قراد = من قُرْدَة ، حشرة تتعلق بالبعير
(٢) من لُبَد أي المقيم الدائم لا يترك مقره ولا يسافر

(١٦) حرف الراء

١ ـ أرَى أهلَ اليَسارِ إذا تُوُفُّوا
بَنَوْا تلكَ المَقابِرَ بالصُّخُورِ
٢ ـ أَبَوْا إلا مُباهَاةً وفَخْراً
على الفقراءِ حتى في القبورِ
٣ ـ فإنْ يكُنِ التَّفَاضُلُ في ذُراها
فإنَّ العدلَ فيها في القُعُورِ
٤ ـ رَضيتُ بِمَنْ تَأنَّقَ في بناءٍ
فَبالَغَ فيهِ تصْرِيفَ الدُّهُورَ
٥ ـ أَلَمّا يُبْصِرُوا ما خَرَّبَتْهُ الدْ
دُهُورُ مِنَ المَدائِنِ والقُصورِ؟!
٦ ـ لَعَمْرُ ابيهِمُ لوْ أَبْصَرُوهُمْ
لَما عَرَفُوا الغنيَّ من الفقيرِ
٧ ـ ولا عَرَفُوا العبيدَ من الموالي
ولا عَرَفُوا الإناثَ منَ الذُّكورِ
٨ ـ ولاَ منْ كانَ يلبَسُ ثوبَ صوفٍ
مِنَ البَدَنِ المُباشِرِ لِلْحَريرِ
٩ ـ إذا أَكلَ الثَّرى هَذَا وَهَذَا
فَما فَضْلُ الكبيرِ على الحقيرِ؟!

(١٧)

١ ـ مَنْ ظَنَّ أَنَّ الدّهْرَ ليْسَ يُصِيبُهُ
بالحادثـات فإنَّـهُ مَغْرورُ
٢ ـ فَالْـقَ الزَّمَـانَ مُهَوِّنـاً لخُطُوبِـهِ
وٱنْجَـرَّ حيثُ يَجُـرُّكَ ٱلمَقْدُورُ
٣ ـ وإذا تَقَلَّبَتِ ٱلأمُورُ ولـم تَدُمْ
فَسَـوَاءٌ ٱلمَحْـزُونُ وٱلمَسْرُورُ

(١٨)

١ ـ ريعَ قلبـي لما ذكرتُ الـديارا
وتَنَـوّرْتُ بالنُّخَيْلاتِ نارا
٢ ـ وازْدهتْني ذات السَّنـا ببـرُوق
من لظاهـا فما أُطيق اصطبارا
٣ ـ والقـريح الفـؤادِ يزداد للنـار
وميض السعـير منهـا استعارا

(١٩)

١ ـ تسألُني عن حالتي أمُّ عُمَـرْ
٢ ـ وهي تَرَى ما حلّ بي من العِبَرْ
٣ ـ وما الذي يَسأَلُ عنه مَنْ خَبَرْ

٤ ـ وقد كفاه الكَشْفُ عن ذاك النَّظَرْ
٥ ـ وما تكون حالتي مع الكِبَرْ
٦ ـ اربدَّ منّي الوجهُ وابيضَّ الشَعَرْ
٧ ـ وصَارَ رأسِي شُهْرَةً من الشُّهَر[1]
٨ ـ وَيَبِسَتْ نَضْرَةُ وَجْهي واقْشَعَرّ
٩ ـ ونقصَ السمعُ بنقصان البصر
١٠ ـ وصرتُ لا أنهضُ إلا بَعد شرَ
١١ ـ لو ضامني مَنْ ضامني لم أَنْتَصِرْ
١٢ ـ فانظرْ إليَّ واعتبرْ ثم اعتبرْ
١٣ ـ فإنَّ للحليم فيَّ مُعتَبَرْ

(٢٠)

١ ـ أنجز فديتك ما وعدت فإن لي
في المطل والانجاز قولا حاضرا
٢ ـ واعلم بأن من الحزامة للفتى
أن لا يرد بغير نجح شاعرا

(٢١)

١ ـ فسبحان من أعطاكَ بطشاً وقوةً
وسبحانَ مَن وَلىَّ القضاء يُخَامِرَا

(١) شهرة = فضيحة

(٢٢)

١ ـ ولا وَالهوَى ما الإلفُ زارَ على النَّوى
يجَــوبُ إليَّ الليل في البلــدِ القفرِ
٢ ـ ولكنــه طيفٌ أقــامَ مثالَــهُ
لعينِّي في نومي خواطرُ من فكريِ

(٢٣)

١ ـ وخيرّهـا أبوهـا بـين شيخٍ
كثـير المال أو حدث فقير
٢ ـ فقالـت: خطتا خسف، وما ان
أرى من حظـوةٍ للمستخير
٣ ـ ولـكن إن عزمـت فكل شيء
أحــب إلي من وجــه الكبير
٤ ـ لأن المرء بعــد الفقــر يثرى
وهــذا لا يعــود إلى صغير

(٢٤)

لعمريَ ما ملَّكتُ مِقْوَدي الصِّبا
فأمْطُوَ[1] للذَّاتِ في السهل والوَعْر

(١) فأمطو = فأسرع

٢ ـ ولا أنا ممّن يؤثِـر اللهـوَ قَلبُـه
فأُمسي في سُكر وأُصبـح في سكرِ
٣ ـ ولا قارعٌ بابَ اليهوديِّ مَوْهناً
وقد هَجَعَ النُّوَّامُ من شَهـوة الخمر
٤ ـ وأوْتَغَهُ الشيطانُ حتى أصـارَهُ
من الغَـيِّ في بحر أضـلّ من البحر[1]
٥ ـ أُغذّ السُّرى فيها إذا الشَّرب أنكروا
ورَهْنِـي عند العِلْـج ثوبـي من الفُجر
٦ ـ كأنِّيَ لم أسمع كتـابَ محمـد
وما جاء في التنزيل فيه من الزجر
٧ ـ كفانـيَ من كُل الذي أُعجبوا به
قُلَيْلـة ماء تُستقـى لي من النهر
٨ ـ ففيهـا شرَابي إن عَطشتُ وكُلّ ما
يُريد عيالي للعَجـين وللقِدْر
٩ ـ بخُبز وبَقـل ليس لحماً وإننـي
عليه كثـيرُ الحمـد لله والشُّكر
١٠ ـ فيا صاحبَ اللُّحمان والخَمر هل تَرى
بوجهي إذا عاينتَ وجهـيَ من ضُرِّ
١١ ـ وبالله لو عُمِّرتُ تسعين حِجَّةً
إلى مثلها ما اشتقتُ فيهـا إلى خَمْرِ

(١) أوتغه = أفسده ، أهلكه ، أضله ،

١٢ ـ ولا طَرِبَتْ نفسي إلى مِزْهَرٍ ولا
تَحَنَّـــن قلبـــي نحـــو عُودٍ ولا زَمْرِ
١٣ ـ وقد حدَّثوني أنَّ فيهـا مرارةً
وما حاجةُ الإنسانِ في الشُّرب للْمرِّ
١٤ ـ أخي عُدَّ ما قاسيتَه وتقلّبت
عليك به الـدُّنيا من الخَـير والشر
١٥ـفهل لك في الدنيا سِوَى الساعةِ التي
تكون بهـا السرَّاء أو حاضِرِ الضُّرّ
١٦ ـ فما ساق منهـا لا يحُسّ ولا يُرى
ومـا لم يكن منهـا عَمِـيٌّ عن الفِكْر
١٧ ـ فطوبَى لعبدٍ أخـرج اللـهُ روحَـه
إليه من الـدنيا على عَمـل البِرِّ
١٨ ـ ولكننـي حُدِّثْـت أنّ نُفوسَهـم
هنـالك في جاهٍ جليل وفي قَدْر
١٩ ـ وأجسادهم لا يأكل التربُ لحمَها
هنـالك لا تبلى إلى آخـر الدهر

(٢٥)

١ ـ كتبتُ وشـوقٌ لا يُفـارق مُهجتـي
ووَجـدي بكم مُستحـكمٌ وتَذَكُّرِي

٢ ـ بقُرطبةٍ قلبي وجسْمي ببلـدة
نأيتُ بها عن أهـل وُدّي ومَعْشري

٣ ـ سقَـى الله من مُزْن السحائـب ثَرَّةً
ديارَكُم اللاتــي حَوتْ كُلَّ جؤذر

٤ ـ بحقِّ الهوَى اقْرِ السـلام على التـي
أهيمُ بهــا عِشْقــا إلى يوم مَحْشري

٥ ـ لئن غِبْتَ عنها فالهَوى غـيرُ غائـب
مُقيماً بقلــبِ الهائــمِ المُتفطِّر

٦ ـ كأنْ لم أبِـتْ في ثَوْبهـا طُولَ ليلـةٍ
إلى أن بَدا وجــهُ الصَّبــاح المنُوّر

٧ ـ وعانقتُ غُصناً فيه رُمَّان فِضَّة
وقبّلــتُ ثغــراً ريقُــه ريقُ سُكّر

٨ ـ أأنسى ولا أنسى عِناقَــكِ خالياً
وضَمِّــي ونقلي نظــمَ دُرّ وجَوْهر

٩ ـ فواحَزَني أن فرَّق الدهرُ بيننا
وكدَّر وَصْــلاً منــكِ غَــير مُكَدَّر

١٠ ـ لقـد غرّرتْ نفسي بحُبـك ضَلّـة
ولـو علمــت عُقبــى الهــوى لم تُغرَّر

١١ ـ بكيتُ فما أغنى البكا عند صُحْبتي
وشَوقــي إلى رِئــم من الأنس أحْور

١٢ ـ سلامٌ سلام ألفَ ألفِ مُكررِ
ويا حامـلاً عنـي الرسالـةَ كَرِّر
١٣ ـ ألا يا نسيمَ الـريح بلِّـغ سلاَمنـا
وصِفْ كلَّ ما يلقـى الغـريبُ وخَبِّر
١٤ ـ وقُل لشُعاع الشمس بلِّـغ تحَيتّـي
سميَّك واقرأهـا على آل جَعْفر

(٢٦)

١ ـ طالبُ الرّزْقِ الحلاَل لاَ يَقِـرْ
نَهـارُهُ وَلَيْلُـهُ على سَفَرْ
٢ ـ في الحَرِّ والبردِ وأوقاتَ المطَـرْ
ومالـه في ذاك نَزْرٌ مُحْتَقَرْ
٣ ـ إنَّ الحـلاَلَ وحـدُهُ لا يَجْتَمِـرْ
أين ترى مالاً حلالاً قد ثَمِرْ
٤ ـ ما ان رأينا صافياً منه كَثُر

ومنها أيضاً :

١ ـ إني حلبت الدهـر أصنـاف الـدرر
فمـرةً حلـو وأحيانـاً مقر

٢ ـ وعلقما حيناً وأحياناً صبر
وجل ما يسقيكه الدهر كدر
٣ ـ فلم أجد شيئاً من الفقر أمر
ألا ترى أكثر من فيها يفر
٤ ـ مخافة الفقر إلى نار سقر؟

(٢٧)

١ ـ وكم ظاعن قد ظن أن ليس آيبا
فآب وأودى حاضرون كثير
٢ ـ وإن الذي أعظمته من تغربي
عليَّ ـ وإن أعظمت ذاك ـ يسير
٣ ـ رأيت المنايا يدرك العصم عدوها
فينزلها والطير منه تطير
٤ ـ وعلي أمضي ثم أرجع سالماً
ويهلك بعدي آمنون حضور
٥ ـ جعلت أرجيها إيابي ومن غدا
على مثل حالي لا يكاد يحور
٦ ـ وكيف أبالي والزمان قد انقضى
وعظمي مهيض والمكان شطير
٧ ـ وإني ، وإن أظهرت مني تجلداً،
لذو كبد حرى عليك حسير

(٢٨)

١ ـ وإنّ رَجَائـي في الإياب إليكُمُ
وإنْ أَنَـا أَظْهَـرْتُ العَـزَاء قصيرُ

٢ ـ وإنْ كُنتِ تَبْغِينَ الـوداعَ فَبالغـي
فَدُونـكِ أَحْـوَالٌ ـ أَرَىَ ـ وشُهُورُ

٣ ـ وإن مَقَامـي شِطْـرَ يوْمٍ بمنـزل
أخـافُ علىً نفْسِي بهِ لكثيرُ

٤ ـ وقد يهرُبُ الإنسان من خيفةِ الردَى
فيدركُه ما خافَ حيث يسيرُ

٢٩ حرف العين

١ ـ أَدْرَكْتُ بالْمصرِ مُلـوكاً أرْبَعَـةْ
وَخَامِسـاً هَذَا الَّـذِي نَحْـنُ مَعَهْ

٣٠ حرف القاف

١ ـ سَأَلْـتُ في النَّـومِ إبِـي آدَمَـاً
فَقُلْـتُ ـ والقلـبُ لَهُ وَامِقُ: ـ

٢ ـ آبْنُـكَ باللّـهِ أبُـو حَازِمٍ ؟!
صَلَّ عليْكَ المالك الخالِقُ

٣ ـ فقـال لي : إنْ كان منِّـي ومِـنْ
نَسْلِي فَحَـوَّا أُمُّـكُمْ طَالِقُ

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

(٣١) حرف الكاف

١ ـ يُعـرف عقـلُ المرء في أربـعٍ
مشْيَتُـهُ أوَّلُهـا وَالْحَرَكْ

٢ ـ ونـورُ عَيْنَيْه وألفاظُـهُ
بَعْـدُ عَلَيْهـنَّ يَدُورُ الفَلَكْ

٣ ـ وَرُبَّمَـا اخْلَفْـن إلاَّ التـي
آخرُهـا مِنهُـنَّ سُمِّـين لكْ

٤ ـ هذي دَليلاتٌ على عقْلـه
والعقْـل في أركانِـهِ كالمَلِكْ

٥ ـ إن صحَّ صحَّ المرءُ من بعـده
ويَهْلِك المرءُ إذا ما هَلَك

٦ ـ فانظـرْ إلى مَخْـرج تَدبِـيره
وعقْلِـه ليس إلى مَا مَلَكْ

٧ ـ فربَّمَـا خلَّـط أهـلُ الحِجَـا
وقـد يكون النَّـوْك في ذي النُّسُك

٨ ـ فانْ إمـامٌ سالَ عن فاضـلٍ
فادلُل على العاقـل لا أُمَّ لك

٣٢ ـ حرف اللام

١ ـ قالَ لي يَحْيَى، وَصِرْنـا
بـين مَوْجٍ كالجبـالِ

٢ ـ وتولَّتْنَا عصـوف
من جنـوب وَشَمَالِ
(وتولتنـا رياحٌ
من دَبُـورٍ وَشَمَالِ)
٣ ـ شَقَّـت آلقِلْعَـينْ وآنْبَتـت
عُرى تلك الحِبـالِ
٤ ـ وتمطَّـى مَلَكُ الموْتِ
إلَيْنَـا عنْ حِيَالِ
٥ ـ فرأينـا الموتَ رأْيَ الْـ
ـعَـينْ حالاً بعـدَ حالِ
٦ ـ لَمْ يكُنْ لِلْقَـوْمِ فِينَـا
يَا رَفيقِـي رأسُ مالِ

ومنها :

٧ ـ وَسُلَيْمَـى ذَاتُ زُهْـدٍ
في زَهِيدٍ من وِصَالِ
٨ ـ كُلَّما قُلْـتُ صِلِينِـي
حاسَبَتْنِـي بِالْخَيالِ
٩ ـ وَالـكَرَى قَدْ مُنِعَتْـهُ
مُقْلَتِـي أُخْـرَى اللَّيالِي
١٠ ـ وَهِـيَ أَدْرَى ، فَلِماذَا
دَافَعَتْنِـي بِمُحالِ!؟
١١ ـ أَترانـي أقتضيهـا
بَعْـدُ شيئـاً منْ نوالِ؟!

(٣٣)

١ ـ يا راجياً وُدَّ الْغَوَانِـي ضِلَّـةً
وفُـؤَادُهُ كَلِفٌ بِهِـنَّ مُوَكَّلُ

٢ ـ لا تكلفـن بوصلهـن فإنمـا الـ
كلف المحـب لهـن من لا يعقل

٣ ـ إن النسـاءَ لَـكَالسُّروج حَقيقـةً
فالسَّرجُ سَرْجُـكَ رَيْثَمَا لا تَنْزِلُ

٤ ـ فإذا نَزَلْـتَ فان غـيرَك نازِلٌ
ذاكَ المكانَ وفَاعِـلٌ ما تَفْعَلُ

٥ ـ أَوْ مَنْـزِلُ ٱلْمُجْتَـازِ أصبَـحَ غَادِياً
عَنْـهُ ، وَيَنْـزِلُ بَعْـدَهُ مَن يَنْزِلُ

٦ ـ أَوْ كالثِّمار مُبَاحَـةً أغصانُهـا
تَدْنُـو لأوَّل مَنْ يَمُـرُّ فيأكلُ

٧ ـ اعْـطِ الشَّبيبـةَ ـ لاَ أبَـالكَ ـ حَقَّهَـا
مِنْهـا فإنَّ نَعيمِهَـا مُتَحَوَّلُ

٨ ـ وإذَا سُلِبْـتَ ثِيابَهَـا لَمْ تَنْتَفِـعْ
عِنْـدَ النِّسـاءِ بكُلِّ ما تَسْتَبْدِلُ

(٣٤)

١ ـ النـاسُ خَلْـق واحـدٌ مُتشابـه
لكنماً تتخـالف الأعمالُ

٢ ـ ويُقــالُ حقٌّ في الرجــال وباطــلٌ
أيُّ امــرىء إلا وفيه مَقَالُ
ـ (والمرء يَعْجب من صغــيرة غــيره
أيُّ امــرىءٍ إلا وفيه مقال)
٣ ـ لسنــا نرى من ليس فيه غميزةٌ
أي الرجــال القائــل الفعال
٤ ـ ولــكل إنســانٍ بمــا في نَفْســه
من عَيبــه عن غــيره أشغالُ
٥ ـ يستثقـل اللَّمَــمَ[1] الخفيفَ لِغــيره
وعليه من أمثــال ذاك جبال
٦ ـ وينــام عن دُنياه نومَــةَ قانــعٍ
بنَعيم دُنياه وذاك خَيال
٧ ـ ورأيتُ ألسنــة الرجــال أفــاعياً
طَوْراً تَثُــور وتــارة تَغْتَال
٨ ـ فإذا سلمــتَ من المقَالــة غــير ما
تجَنــي فأنــت الأسعــدُ المفضال

(٣٥)

١ ـ وَأَغْيَدُ لَــيِّنُ الأطــراف رَخْصٌ
كَحيلُ الطَّــرْفِ ذي عُنُــقٍ طويل

---

(١) اللمم = أي الذنوب الصغيرة . .

٢ ـ ترى ماءَ الشبـابِ بِوَجْنَتَيْهِ
يَلـوح كَرَوْنَـقِ السيف الصَّقيل
٣ ـ من أبنـاء الغَطَـارفِ قيصري الـ
ـعمومةِ حـين يُنسـبُ والخُؤول
٤ ـ كأنَّ أديمـه نِصْفـاً بنصفٍ
من الذهـب الـدِّلاصِ أو الوَذيل[١]
٥ ـ وَرُبَّمَا أكررُ فيه طَرْفِي
فاحسـب أنـه من عَظْـم فيل[٢]
٦ ـ على قَدٍّ سواءٍ لا قصـيرٌ
فتحقِـرُه ولا هو بالطويل
٧ ـ ولـكن بـين ذلك في اعتـدال
كغصـنِ البـانِ في قرب المَسِيل
٨ ـ يحَـنُّ إليَّ مطّرفـا لشـكْلي
ويُكثـر لي الـزيارة بالأصيل
٩ ـ أتـى يومـاً إليَّ بِزِقِّ خَمْـر
شَمُـولِ الـريح كالمِسْـك الفتيل
١٠ ـ ليشربهَـا معـي ويبيتَ عنـدي
فَيُثْبِـتَ بيننـا وَدَّ الخَليل

---

(١) الدلاص = اللين البراق
الوذيل = الفضة مجلاة
(٢) عظم الفيل = يعني هنا العاج ، ناب الفيل

١١ ـ وجـاءت أمُّـه معـه فكانـا
كأُمِّ الخَشْفِ[1] والرَّشَأ الكحيل
١٢ ـ تُوَصِّينـي به وتقـول: أَخْشَى
عليه البـرْدَ في الليل الطويل
١٣ ـ فقلـتُ حماقـةً منـي ونـوْكاً
فدَيتُـكِ لسْـتُ من أهـلِ الشَّمول
١٤ ـ فَأيَّةُ غِرَّةٍ سبحـانَ رَبِّـي
لو أنِّـي كنـتُ من أهـلِ العقول

(٣٦)

١ ـ يَقـولُ لِيَ القـاضي مُعَـاذٌ مُشَـاوراً
وولَّى امـرْءاً، منْ ذوي الفضلِ
٢ ـ فديتُـك ماذا تحْسِـب المرءَ صَانعـاً؟
فقلت: ومـاذا يصنـعُ الـدُّبُّ بَالنَّحْلِ؟
٣ ـ يَدُقُّ خلاياهـا ويأكلُ شَهْدَهَـا
ويتـركُ للذِبَّـانِ ما كانَ من فضْلِ

(٣٧)

١ ـ قلـتُ إذ كرَّرَ المقالـةَ: يكفـي
أنـت أولى بدرهمـي أم عيالي؟

---

(١) الخشف= ولد الظبي

٢ ـ لستُ ممن يكون يخدعُهُ مثلُكَ
فاعلم ، بهذه الأقوال
٣ ـ ما أؤَدّي الزكاةَ إلاَّ كما
يُعصرُ زِقٌّ مُعَسَّلٌ[1] بالحبال

(٣٨)

قلنا في بحثنا عن الغزال إنه دخل يوماً على الأمير عبد الرحمن بن الحكم وهو في مجلسه . فقال الأمير مرحِّباً به :

ـ جاء الغزال بحسنه وجماله

فقال الوزير للغزال : أجز ما بدأ به الأمير. فقال الشاعر:

١ ـ قال الأميرُ مداعباً بمقالِهِ:
جاءَ الغزالُ بحسنِهِ وجمالِهِ
٢ ـ أينَ الجمالُ مِن آمْريءٍ أَرْبَى على
متعدد السَّبعين من أحوالِهِ
٣ ـ أين الجمالُ له، الجمال من امريءٍ
ألقاه ريبُ الدهر في أغلالِهِ؟
٤ ـ وأعادَهُ من بعد جدّته بلى،
وأحال رونقَ وجهِهِ عن حالِهِ

ويؤكد ابن عذاري أن هذه الأبيات « من قصيدة طويلة »

---

(١) معسل = فيه آثار عسل

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

(٣٩) حرف الميم

١ ـ آقر السلامَ على إلْفٍ كَلِفْتُ به
قد رُمتُ صبراً وطولُ الشوق لم يَرِم

٢ ـ ظَبْي تَباعد عن قُربي وعن نظَري
فالنفسُ والهةٌ من شدّة الألم

٣ ـ كُنا كرُوحيْن في جسم غذاؤهما
ماءُ المحبةِ من هامٍ ومُنْسجم

٤ ـ إلْفَين هذا بهذا مُغْرَم كَلِفٌ
لا واحدٌ في الهوى منّا بمُتَّهم

٥ ـ للّه تلكَ الليالي والسُّرورُ بها
كأنما أبصرتْها العينُ في الحُلم

٦ ـ ففرَّقَ الدهرُ شملاً كان مُلْتَئماً
مِنّا وجَمّع شَمْلاً غيرْ مُلْتَئِم

٧ ـ ما زلتُ أرْعَى نجومَ الليلِ طالعةً
أرجو السلوَّ بها إذ غِبْتُ عن نَجمي

٨ ـ نَجْم من الحسن ما يجري به فَلَك
كأنّه الدرّ والياقوتُ في النَّظم

٩ ـ ذاك الذي حاز حُسناً لا نظير له
كالبدر نُوراً عَلا في مَنْزل النّعم

١٠ ـ وقد تَنَاظَرَ والبُرجيسُ في شَرَفٍ
وقارَنَ الزَّهرةَ البيضاءَ في تَوَمِ[١]

١١ ـ فذاكَ يُشبهه في حُسن صُورته
وذا يَزيد بحظّ الشَّعر والقَلم

١٢ ـ أشكو إلى الله ما ألقى لِفُرقته
شكْوَى مُحِبّ سَقيم حافِظ الذِّمم

١٣ ـ لو كنت أشكو إلى صُمٍّ الهْضاب إذاً
تَفَطَّرتْ لِلذي أُبديه من أَلم

١٤ ـ يا غادراً لم يزلْ بالغدْر مُرتدياً
أين الوفاءُ؟ أبِنْ لي غيرَ مُحْتشم

١٥ ـ إن غاب جسمُك عن عَيني وعن نَظري
فما يَغيب عن الأسرار والوهم

١٦ ـ إني سأبكيك ما ناحت مَطوَّقةٌ
تَبْكي أليفاً على فَرْعٍ من النَّشم[٢]

(٤٠)

١ ـ فإذا ما نظرتُ في عُرُض النَّا
سِ كأني أراهمُ في الظلامِ

---

(١) البِرجيس = كوكب المشترى
البُرجيس = شجر شائك ذو أزهار وردية اللون
(٢) النشم = بالتحريك ، شجر جبلي تصنع من أغصانه القسي

٢٠ ـ وكأنَّ الـذي أصيبَ على الأيّا
مَ شيءٌ أصبتُـهُ في المنامِ

(٤١)

١ ـ إذَا كُنْـتَ ذَا ثَرْوةٍ مِنْ غِنـىً
فَأَنْـتَ المُسَوَّدُ في العالمِ
٢ ـ وَحَسْبُـكَ مِنْ نَسَـبٍ صُورَةٌ
تُخَبِّـرُ أنَّـكَ مِنْ آدمِ

(٤٢) حرف النون

١ ـ ألستَ ترى أن الزمـانَ طوانـي
وبَـدَّل خَلْقـي كُلَّـه وبَرَانِي
٢ ـ تَحَيَّفَني عُضْـوا فَعُضْـوا فلـم يدَعْ
سِوى اسمـي صَحيحـاً وحـدَه ولِساني
٣ ـ ولـو كانـتِ الأسماءُ يَدْخُلُهـا البِلَى
لقـد بَلِيَ اسْمـي لامتـدادِ زماني
٤ ـ ومـا لِيَ لا أَبْلى لتسعـين حِجَّـةً
وسَبْـعٍ أتـتْ من بعدهـا سَنَتان
٥ ـ إذا عنَّ لي شخصٌ تَخَيَّلَ دونـه
شَبيهُ ضَبَـاب أو شبيهُ دُخانِ
٦ ـ فيا راغباً في العيش إن كنتَ عاقـلاً
فلا وَعْـظ إلا دُون لَحْـظِ عِيانِ

(٤٣)

١ ـ إنَّ الفتـاةَ وانْ بدَا لكَ حُبُّهَـا
فبقلبها داءٌ عليكَ دفينُ
٢ ـ وإذا آدَّعَـتْ هَوَى الكبـير فإنمـا
هُوَ للكبـير خديعـةٌ وقُرُونُ
٣ ـ وإذا رأيتَ الشيخَ يهـوَى كاعبـاً
فَعَلَيْهِ من دَرَكِ القُـرونِ زُبُونُ

(٤٤)

١ ـ أنـا شيْخٌ وقلـتُ في الشيخِ شيئـاً
يعلمُـهُ كلُّ أبلـهٍ وَذَهـينِ [؟]
٢ ـ كُلُّ شيْخٍ تراهُ يكثـرُ من كَسْـبِ
الجـوارِي فَخُـذْهُ لي بالقَرونِ

(٤٥)

١ ـ لقـد فَسَـدَت فما تَلْقـى
بهـا من ليس ذَا شَجَنِ
٢ ـ وصـار الحـيُّ منَّـا يَغْبِـطُ
الملفـوفَ في الكفَنِ

(٤٦)

١ ـ لستَ تلقى الفقيهَ إلا غنيّاً
ليتَ شعري من أيْنَ يَسْتَغْنونا؟
٢ ـ تقطعُ البرَّ والبحارَ طِلاَب الـ
ـزق والقومُ هَا هُنا قاعدونا
٣ ـ إن للقومِ مضرباً غابَ عنّا
لم يُصِبْ قَصدَ وجهِهِ الراكبونا

(٤٧)

١ ـ يا ليت شعري أي شيء محصل ير
ى شخص من قد مات وهو دفينُ
٢ ـ أهو هو أم خلق شبيه بما رأى
فقل للقلوب النائمات عيون
٣ ـ وكيف يرى والعين قد مات نورُها
وواقعُه شبهَ الوقارِ سُكونُ
٤ ـ لئن كانت الأرواح من بعد بينها
بهن إلى ما خلفهن حنين
. . . . . .
. . . . . .

(٤٨)

١ ـ وإنْ أُعـطِيَت سُلطانـاً
فَحَـاذِرْ صَوْلَـةَ الزَّمَنِ

٢ ـ أَخُـو السُّلْطَـانِ مَوصُـوف
بحسـن الـرأي والفِطَنِ

٣ ـ فَساعـةَ ما يُزاولـه
رَمَـاهُ النَّـاسُ باللَّعَنِ

٤ ـ وَيصبـحُ رأيُه المحمـو
دُ منسوبـاً إلى الأَفَنِ

٥ ـ وتُبصر في مَطِيَّتِـهِ
سُقُوطَ العـينِ والأذُنِ

٦ ـ وَتَسْتَرْخِـي مفاصلُـه
وتـكسى كُسْـوَةَ الحَزَنِ

٧ ـ كأن بَشَاشَـةَ السُّلطـا
نِ حـينَ تزولُ لم تكُنِ

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

ثبـــت بالمراجـــع العربية والأجنبية

- القرآن الكريم
- ابن الأبار — التكملة لكتاب الصلة
- ابن الأثير — الكامل في التاريخ
- ابن حيان — المقتبس في تاريخ رجال الأندلس، باريس ١٩٣٧
- ابن الخطيب — (لسان الدين ذي الوزارتين) تاريخ إسبانيا الإسلامية
- كتاب أعمال الاعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام
  تحقيق ليفي بروفنسال — دار المكشوف، بيروت ١٩٥٦ طبعة ثانية
- ابن دحية — المطرب في أشعار أهل المغرب، تحقيق الأبياري وعبد المجيد والبدوي
  مراجعة طه حسين — وزارة التربية القاهرة ١٩٥٤ المطبعة الأميرية
- ابن سعيد — المغرب في حلى المغرب
- ابن عبد البر (٣٦٨ - ٤٦٣ هـ) — بهجة المَجالس وأنس المُجالس وشحذ الذاهن والهاجس
  تحقيق محمد الخولي ود. عبد القادر القط

ـ ابن عبد ربه	العقد	
ـ ابن عذاري المراكشي	ـ البيان المغرب في أخبار أهل الأندلس والمغرب	تحقيق: G. S. Colin E. Lévi - Provençal ١٩٦٦
ـ ابراهيم علي أبو الخشب	تاريخ الأدب العربي في الأندلس	
ـ الأستاذ الدكتور حكمة علي الأوسي	فصول في الأدب الأندلسي	مطبعة الأعظمي بغداد ـ ١٩٧١
ـ عبد الرحمن البرقوقي	حضارة العرب في الأندلس	
ـ كارل بروكلمان	تاريخ الأدب العربي S, I, 148	ترجمة عبد الحليم نجار، دار المعارف، مصر، ١٩٦١
ـ غونزالس بلانسيا	تاريخ الفكر الأندلسي	ترجمة حسين مؤنس
ـ الدكتور محمد رضوان الداية	مختارات من الشعر الأندلسي	المكتب الإسلامي للطباعة والنشر
ـ السلفي أحمد	أخبار وتراجم أندلسية	تحقيق الدكتور إحسان عباس ١٩٦٠
ـ غرسياس اميليو	الشعر الأندلسي	ترجمة حسين مؤنس
ـ أبو منصور الثعالبي النيسابوري (٤٢٩ هـ)	يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر	
ـ حاجي خليفة	كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون	أوفست المثنى، بغداد
ـ فيليب حتّي	تاريخ العرب ـ مطوّل ـ	دار الكشاف، طبعة ثالثة ١٩٦١
ـ الدكتور عبد الرحمن علي الحجي	أندلسيات	دار الارشاد، بيروت ١٣٨٨هـ / ١٩٦٩م
ـ حسن إبراهيم حسن	تاريخ الإسلام	
ـ علي محمد حمودة	تاريخ الأندلس السياسي والعمراني والاجتماعي	مصر، طبعة أولى، ١٩٥٧

ـ الدكتور بدير متولي حميد	قضايا أندلسية	
ـ الحميدي (٤٨٨)هـ	جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس	تحقيق محمد تاويت الطنجي، القاهرة، ١٣٧١هـ
ـ جودت الركابي	في الأدب الأندلسي	مطبعة الجامعة السورية، دمشق، ١٩٥٥
ـ خير الدين الزركلي	الاعلام	
ـ الدكتور نقولا زيادة	لمحات من تاريخ العرب	دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٦١
ـ أبو الحسن الشنتريني (٥٤٢هـ)	الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة	
ـ أحمد بن يحيى الضبّي ٥٩٩هـ)	بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس	طبع مجريط (مدريد) ١٨٨٤
ـ أحمد ضيف	بلاغة العرب	
ـ الدكتور سامي مكي العاني	دراسات في الأدب الأندلسي	١٩٧٨
ـ الأستاذ الدكتور إحسان عباس	تاريخ الأدب الأندلسي ـ عصر سيادة قرطبة ـ	دار الثقافة، ١٩٦٠
ـ الدكتور إبراهيم أحمد العدوي	السفارات الإسلامية إلى أوروبا في العصور الوسطى	إقرأ، ١٧٩، ١٩٥٧
ـ محمد عبد الله عنان	دولة الإسلام في الأندلس	
ـ محمد عبد الله عنان	تراجم إسلامية شرقية وأندلسية	
ـ حسن فتح الباب	السفارات الثقافية	المجلس الأعلى للشؤون الإعلامية، القاهرة ١٩٦٢

ـ أبو عبد الله الكتّاني	التشبيهات من أشعار أهل الأندلس تحقيق الأستاذ الدكتور إحسان عباس	دار الثقافة
ـ عمر كحالة	معجم المؤلفين	مطبعة الترقي، دمشق ١٣٨٠هـ ـ ١٩٦١م
ـ كامل كيلاني	نظرات في تاريخ الأدب الأندلسي	
ـ ا. ليفي بروفنسال	الإسلام في المغرب والأندلس	ترجمة سالم وحلمي مكتبة نهضة مصر سلسلة الألف كتاب
ـ الدكتورٌ عبد المنعم ماجد	العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى	مكتبة الجامعة العربية بيروت ١٩٦٦
ـ الشيخ أحمد المقري التلمساني	نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب	تحقيق الأستاذ الدكتور إحسان عباس دار صادر بيروت ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م
ـ الشيخ أحمد المقري التلمساني	نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب	طبع القاهرة، مصر
ـ الموسوعة العربية الميسرة	. . . . .	فرانكلين، القاهرة
ـ أبو الحسن النُّباهي المالقي	تاريخ قضاة الأندلس	المكتب التجاري، بيروت، طبعة أولى
ـ أنيس نصولي	الدولة الأموية في قرطبة	بغداد ١٩٢٦

مجلات

= دعوة الحق — مديرية الشؤون الإسلامية بالمغرب

= الرسالة — عدد ١٣٢/ ١٩٣٦ ـ القاهرة

= العربي — عدد ٥١ شهر رمضان ١٣٨٢هـ ـ شباط (فبراير) ١٩٦٣ (مجموعة الجامعة العربية في بيروت)

= العربي — عدد ٢١٢/ ١٣٩٦هـ ـ ١٩٧٦م

= الفيصل — عدد ١ سنة ٢/ ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م

عدد ٢٢ ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م

= قافلة الزيت — عدد ٧ مجلد ١٦/ ١٩٦٨م

= مجلة المجمع العلمي العراقي — مجلد ٢١/ ١٣٩١هـ ـ ١٩٧١م

— Bernard Lewis — The Muslim discovery of Europe in «Bulletin of the School of Oriental and African Studies» University of London, XX, 1957

— George C. Miles — The Coinage of the Umayyads of Spain. London,The American Numismatic Society, New York, 1950

— Journal «Assafa» du 20.11.1973

— Journal «L'Orient-le Jour» du 20. 11. 1973

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

Références

— W. E. D. Allen — The Poet and the Spae-Wife
An attempt to reconstruct Al-Ghazal's Embassy to the Wikings.
Allen C° Dublin — 1960

— Dr. M.S. El-Bondack — Les Orientalistes Polonais
Thèse de Doctorat, 1973

— R. Dozy — Recherches sur l'histoire et la littérature de l'Espagne pendant le Moyen-âge, T.II, App.XXXIV Leyde, Brill 1881

— Encyclopédie de l'Islam, vol. II
p.1062

— A. Fabricius — L'Ambassade d'Al-Ghazal auprès du roi des Normands.
Congrès International des Orientalistes, Stockholm 1889 Brill - Leyde 1893

— Les Grands tournants de l'histoire
vol.II

— E. Lévi - Provençal — Histoire de l'Espagne musulmane
— Islam d'Occident. Paris - Maisonneuve, 1948
— Un échange d'ambassade entre Cordoue et Byzance au IX° siècle
Byzantion T.XII, 1937

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

الفهرس

	صفحة
ـ مقدمة	٩
ـ استهلال	١٣
ـ القسم الأول : يحيى بن الحكم الغزال	
إسمه ونسبه	١٧
ـ مولد الغزال	٢٠
ـ ثقافة الغزال و«ديوانه»	
ـ أرجوزة الغزال	٢٧
ـ شخصية الغزال	٣٠
ـ انتقاده القضاة والفقهاء	٣٣
ـ محاولة الغزال محاكاة القرآن الكريم	٤١
ـ قصة الاهراء	٤٣
ـ نظرة في شعر الغزال	٤٦
ـ بين الغزال وزرياب	٥٥
ـ الغزال في العراق	٥٧
ـ اشتهار شعر الغزال في الأندلس وخارجها	٦٠
ـ القسم الثاني ـ	٦٩
شخصية الأمير عبد الرحمن الثاني	
ـ نظرة عابرة في الدبلوماسية الإسلامية في القرون الوسطى	٧٨
ـ سفارة أمبراطور الروم لدى الأمير عبد الرحمن	٨١
ـ سفارة الأمير عبد الرحمن إلى ملك الروم	٨٤
ـ رسالة الأمير عبد الرحمن إلى تيوفيلس أمبراطور القسطنطينية	٨٧

- هل من سفارة للغزال إلى بلاد النورمان؟ ٩٣
- الإشارة إلى سفارة الغزال إلى بلاد النورمان في بعض المراجع ٩٥
- أسباب سفارة الغزال إلى بلاد النورمان ٩٩
- ماذا تقول المصادر في التعريف عن الفيكنغ ١٠١
- هجوم الفيكنغ - المجوس - على بلاد الأندلس ١٠٥
- ملك الفيكنغ يوجه رسالة للأمير عبد الرحمن وانتداب سفير أندلسي لبلاد النورمان ١١١
- اهتمام الدارسين بالتقرير عن سفارة الغزال إلى ملك النورمان ١١٤
- المرجع الأساسي لوقائع سفارة الغزال لدى ملك النورمان ١١٦
- التعريف بابن دحية وبتمام بن علقمة ١١٩
- ابن دحية ١٢٠
- تمام بن علقمة ١٢٣
- تقرير ابن دحية عن سفارة الغزال إلى بلاد المجوس النورمان ١٢٥
- بين نود وتود ١٣٧
- مواقف مشتركة بين المستشرقين حول صحة تقرير ابن دحية فيما يتعلق بسفارة الغزال إلى بلدان المجوس ١٤٤

١ - من أين ركب الغزال البحر ؟ ١٤٤
٢ - وصف الرياح في خليج غاسكوني (بسكاي) ١٤٥
٣ - مسيرة الوفدين ووصولهما إلى جزر المجوس ١٤٦
٤ - وصف البركما عند ابن دحية ١٤٨
٥ - الملك الأوحد ملك الدانمرك ١٤٨
٦ - مظهر الفخامة والسلاح ١٤٨
٧ - السفير الفيكنغ هل كان يمثل الملك أم كان يمثل الفيكنغ المغتصبين ؟ ١٤٩
٨ - اهتمام الأمير عبد الرحمن بسفارة ملك النورمان ١٤٩
٩ - لماذا اختير يحيى بن حبيب لمرافقة الغزال ؟ ١٥٠
١٠ - ملك المجوس يستقبل السفير الغزال بأسرع وقت ١٥١

١١ ـ قضية إخضاع السفير للركوع للملك ١٥٢
١٢ ـ قصة الهدية من ملك الروم والهدية التي اعتذر عنها من ملكة النورمان ١٥٣
١٣ ـ حول حديث الغزال مع نود ١٥٥
١٤ ـ إنّي تعلّقت مجوسيةً . . . ١٥٦
١٥ ـ صحة إنطباق أخبار تقرير ابن دحية على الأوضاع في بلدان الشمال ١٥٧
١٦ ـ استحق الغزال الثناء ١٥٨
١٧ ـ نهاية المطاف ١٥٩
١٨ ـ نعم سفر الغزال إلى بلاد النورمان ١٦٠

ـ وفاة الغزال ١٦٢
ـ ماذا قالوا في الغزال ؟ ١٦٣

ـ القسم الثالث : من شعر الغزال ١٧١

يحيى بن الحكم البكري الجيّاني شاعر الأندلس وسفيرها
١٥٠ ـ ٢٥٠هـ
٧٧٠ ـ ٨٦٤م

ثبت بالمراجع العربية والأجنبية ٢١٣

تمّ بحمد الله ربّ العالمين

Mohammad Saleh El-Bondack

Doctorat en Philosophie

Yahya Bnou-L- Hakam el-Ghazâl

«Prince des poètes de l'Andalousie au 3ème siècle de l'Hégire.
Ambassadeur de l'Emir de l'Andalousie
auprès de
l'Empereur de Constantinople et du Roi des Normands
150 — 250 A.H.
770 — 864 A.D.

Préface de

M. le Professeur Dr. Ihsan Abbas

Chairman of the Department of Arabic and Near Eastern Languages — AUB
Director of the Center for Arab and Middle Eastern Studies

Dar Al-Afak el-Jadidah
Beyrouth (Liban)
1399 A.H. — 1979 A.D.

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

www.moswarat.com

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

Mohammad Saleh El-Bondack

Doctorat en Philosophie

Yahya Bnou-L- Hakam el-Ghazâl

Prince des poètes de l'Andalousie au 3ème siècle de l'Hégire.
Ambassadeur de l'Emir de l'Andalousie
auprès de
l'Empereur de Constantinople et du Roi des Normands
150 — 250 A.H.
770 — 864 A.D.

Préface de
M. le Professeur Dr. Ihsan Abbas
Chairman of the Department of Arabic and Near Eastern Languages — AUB
Director of the Center for Arab and Middle Eastern Studies

Dar Al-Afak el-Jadidah
Beyrouth (Liban)
1399 A.H. — 1979 A.D.